فتاوى المنار

فتحنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسع الناس عامة ، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء ، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالباً وربما قدمنا متأخراً لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا . ولمن يمضي على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لاغفاله

﴿ أوراق اليانصيب وسندات المصارف ﴾

(س ١) من بورت سودان لصاحب التوقيع

حكيم الاسلام وفيلسوف الأنام مربي الأمة ومرشدها وغرة عصرها وعالمها سيدي المرشد السيد محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار الغراء نفعني الله بعلومه آمين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته أما بعد فقد جمعني وجماعة من نبغاء بورت سودان وفضلائها مجلس انعقد بمنزل فضيلة قاضيها الشرعي لسماع درس التوحيد وبعده أخذنا نتجاذب اطراف الحديث الذي وصل بنا إلى تحليل أو تحريم أوراق اليانصيب وطال الجدال في هذا الموضوع وانقسمنا إلى قسمين

قسم منا حرمها من أولها لآخرها سواء في ذلك سندات سكة حديد تركيا (الروملي) والبنك العقاري جديدها وقديمها

والقسم الآخر فصَّل في الموضوع حيث حرم كل الأوراق ما عدا سندات البنك العقاري وسكة حديد تركيا فقال بالحل فيها إلا انه لم يجزم بهذا القول واشترط في أوراق البنك العقاري عدم أخذ (الكبون) أي الربح السنوي

وبالنسبة لكوننا لم نوفق للفصل في هذا الموضوع نهائياً قر القرار على الاستعلام من حضرتكم وأخذ رأيكم في هذا الموضوع للاهتداء بهديكم وكلفوني أن أسألكم [illegible] وكرم اخلاقكم جئت اليكم بهذا راجيا إرشادنا في هذا

الموضوع أرشدكم الله والفصل فيه ليحق الحق ويبطل الباطل ان الباطل كان زهوقا

كما اني أرجوكم إن كان سبق لسيادتكم التكلم عنه في مجلدات غابرة ان تجيبوني عليه وأكون ممنونا لو تفضلتم بالإجابة في أول عدد لأهميته عندنا والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

كاتبه

أحمد كريم

أحد قراء المنار

(ج) افتينا في المنار من قبل (ص٤٧ م ١٠) بأن اليانصيب من القمار المحرم لما فيه من الضرر الظاهر فان المقامر يضيع ماله لتوهم الربح وقد فصلنا القول في ضرر الميسر في تفسير قوله تعالى «٢: ٢١٩ يسألونك عن الخمر والميسر» فليراجع في (ص٣٢٩ ج٢) من التفسير . واما مثل سندات البنك العقاري فهي في نفسها ليست من « اليانصيب » وان كان يعمل لها « يانصيب » بل هي ضرب من ضروب التجارة لأن لها أثمانا كأثمان سهام الشركات المالية تزيد وتنقص وتشبه من جهة أخرى الدين بربح قليل لأن صاحب المال يأخذ عليه كل سنة ربحا « كوبون Coupon » ولكنها خالية من ضرر القمار لأنه ليس فيها إضاعة مال محقق لربح متوهم ومن ضرر الربا المعبر عنه بقوله تعالى في خاتمة آيات الربا «لا تَظلمون ولا تُظلمون » وهي مع ذلك مشكلة والظاهر من اقوال الفقهاء وقواعدهم انها غير جائزة لذاتها ولكن بعضهم يجيز ذلك في غير دار الاسلام أو مع الحربيين لأن التزام العقود الاسلامية إنما يجب في البلاد التي يحكم فيها الاسلام ولهم في ذلك تفصيلات كثيرة (راجع ص ٦٣٩ م ٧ وص٢٦٨ و ٢٩١ و ٥٩٠ م٨)

ثم ان الفقهاء قد جعلوا الشرع العملي قسمين عبادات ومعاملات فالمعاملات ليس فيها امور تعبدية بل كلها معقولة المعنى منطبقة على مصالح الناس ومنافعهم ودفع المضار عنهم فلا يحرم منها الا ما هو ضار بفاعله أو بغيره وما يتراضى به الناس من المعاملات من غير غش فلا يحرم عليهم الا انه اذا كان من شأنه ان يضر لا يلزمهم القاضي ما كانوا تراضوا به اذا هم اختلفوا بعد ذلك وتحاكموا اليه ولا يفتيهم المفتي بوجوبه شرعا فقد جاء في الآثار الصحيحة عند البخاري وغيره ان المقترض اذا اعطى افضل مما

أخذ أي كيفا او كما فلا بأس بذلك ما لم يشترط ذلك أي بجعل حقا شرعيا . وهذا في الربا الذي هو اغلظ المحرمات المتعلقة بالمعاملات المالية فاذا اعطى صاحب سندات البنك العقاري مالا من البنك قد ربحه بالسحب برضى اصحاب البنك فانه لا يظهر لي ان أخذه محرم عليه ولا سيما اذا كان اصحاب البنك من الاجانب الذين لا يلتزمون أحكام شريعتنا من انفسهم ولا توجد حكومة اسلامية تلزمهم العمل بها ولا يظهر لي ان هذا من القمار الا بالنسبة لمن يشتري أوراق السحب التي تباع في الاسواق والشوارع لأن هؤلاء يضيعون اموالهم على التوهم واما اصحاب السندات فان اموالهم محفوظة لهم لا يضيع منها شيء والله اعلم واحكم

***

﴿ دين المستقبل وهل يكفر من له رأي فيه ﴾

(س ٢) من بغداد لصاحب التوقيع الذي عهد الينا بكتمان إسمه

حضرة سيدي المحترم محمد رشيد رضا افندي أدام الله مجده

أما بعد فقد جئت طالبا من فضلكم نشر سؤالي هذا على صفحات (المنار) الأغر وسرد جوابه بما يتراءى لكم لأن الامر أشكل في بغداد والاقوال تضاربت فجئت طالبا فتواكم ولكم الأجر

إن أحد الكتاب نشر مقالة في جريدة بغداد في عددها الأول وقال فيها : ان حضرة السيد البكري نقيب أشراف مصر قال سألت الشيخ جمال الدين الافغاني عن دين البشر في المستقبل فأجابني بقوله تعالى « إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون » (١) فقام بعض المدعين للعلم وقال

---

(١) المنار : سمعنا هذه المسألة من البكري وقال أمامنا إن السيد قال له انقشوا هذه الآية على هرم الجيزة الى أن يجيء المستقبل فيفسرها . وليراجع في المنار ما قاله الاستاذ الامام في تفسيرها

ان هذا الناقل الذي نشر المقالة قد كفر وخرج من دين الاسلام وطلب من الحكومة مجازاته وهو القتل كفراً لا حدا والعياذ بالله ثم وكل الأمر الى أربعة من المدوسين وهذا المكفر معهم خامس فاما أحدهم فقال إن الرجل ناقل وليس عليه شيء من دون ان يعمق البحث في أصل الموضوع فرفضوا قوله واجتمع الاربعة على انه يجب تعزير هذا الناقل تعزيرا شديدا وقدموا قرارهم هذا العدلية ولاندري ماسيكون منه فنرجوكم تدقيق هذا البحث باطرافه بحق قائله وناقله والحاكين فيه لتتضح الحال خدمة للوطن والدين والامة دامت أفضالكم الامضاء

غيور اغتار للدين

(ج) لا وجه للقول بكفر هذا الناقل، ولا ذلك القائل، ولا بتعزير من يرى ذلك الرأي سواء كان خطأ ام صوابا والظاهر أن أولئك العلماء لم يفهموا معنى سوال البكري ولا جواب الافغاني لأنهم لم يفكروا في مثل هذا البحث ولا في سبيه لا لبلادة في أذهانهم ولا لجهلهم باللغة التي عبر بها القائل والناقل، نعم ان المشتغلين منا بالفقهيات، الجامدين على التقاليد والعادات، كثيرا ما يتجرءون على التكفير، بغير علم ولاهدى ولا كتاب منير، واظن ان من ذكرتم من علماء بغداد، لو فهموا معنى السوال والجواب، لما خطر في بالهم ان يعدوا القول به ذنبا، فضلا عن ان يعدوه كفرا،

يقول كثير من علماء الاجتماع إن البشر في مجموعهم يسيرون الى الكفر والإلحاد عاما بعد عام وان هذا السير ينتهي بترك الأمم كلها للتدين بعد قرون كثيرة اوقليلة ومن هؤلاء القائلين بهذا الرأي من هو متدين بالاسلام ومنهم من هو متدين بغيره ومنهم من هو ملحد لا يدين بدين

ويقول آخرون ان البشر لايمكن ان يستغنوا عن الدين ولا عبرة بما نراه في هذا الوقت من كثرة الكافرين فلا بد ان يبقى الناس متدينين وان يبقوا مختلفين في الدين

ويذهب آخرون الى انه لا بد ان يسود في المستقبل دين يكون عليه أكثر البشر وهل يكون ذلك دينا جديدا ام أحد الأديان الحاضرة بعد تنقيحه وتطبيقه على حال الناس في المدنية المستقبلة؟ انهم مختلفون في هذا وسمعت الاستاذ الامام

يقول اكثر من مرة انني اعتقد منذ عشرين سنة ان دين المستقبل هو الاسلام ولي على ذلك أدلة اجتماعية وادلة نقلية كالوعود الالهية بإظهاره على الدين كله وهو عندي في مرتبة اليقين . ولا يخفى ان أصول الدين الالهي الحق التي دعا اليها جميع رسل الله هي الايمان بالله واليوم الآخر والعمل الصالح . والكتاب والسنة تفصيل لهذه الاصول . وعبارة السيد جمال الدين مجملة فلا يدرى أرأيه كرأي تلميذه الاستاذ الامام ويريد بالاصول المجملة في الآية ما هو مفصل في غيرها من الآيات أم يريد ان البشر لا يتفقون على تفصيل الاسلام ولا غيره وإنما يستقر رأيهم على تلك الاصول المتفق عليها ويتركون لكل فرد رأيه واجتهاده في تفصيلها؟ الله اعلم بتفصيل رأيه ولكن الذي يجب الجزم به انه لا يجوز ان نكفره ولا أن نفسقه برأيه لأنه لا علاقة بين مثل هذا الرأي وبين قوة الايمان وصحة الاسلام بل لا يجوز ان نقول بكفر من يرى ان البشر يتركون كل دين ولا بتعزيره او لومه على ذلك . فليتق الله علماؤنا في المسلمين وليعلموا أن عاقبة هذا التشديد والجراءة منفرة عن الاسلام وانها يوشك ان تفضي الى مالا يحبون لانفسهم ولا لدينهم

أما العدلية فلا أدري ما هي علاقتها بآراء الناس وافكارهم فاذا كان رجال العدلية في بغداد كمن ذكرتم من العلماء فهماً لهذه المسألة وكان رأيهم في العقوبات القانونية كرأي اولئك الفقهاء في العقوبات الشرعية فيا حسرة على بغداد فانها لا تزال ترسف في قيود الجهل والاستبداد

***

﴿ تعدد صلاة الجماعة في وقت واحد ﴾

(س ٣) من بغداد لصاحب التوقيع

حضرة سيدي الفاضل صاحب مجلة المنار   دام فضله

اتفقت أقوال العلماء على أن لا فرق بين أقوال الائمة الاربعة المجتهدين رضوان الله عليهم وانهم تجمعهم السنة والجماعة ولكن مع الأسف نرى في أغلب جوامع بغداد تقام للصلاة جماعتان حنفية وشافعية في آن واحد وكل يصلي بصلاته بحيث

لا يكاد يميز السامع بين تكبير إمام وآخرفما القول في ذلك ؟ واغرب منه ان يقوم مع وجود الامامين إمام ثالث حنفي و يصلي بالناس مع ان صف الجماعة المقتدين به متصل كال الاتصال بصف المصلين خلف الشافعي بحيث لا يمكن معرفة الحد الفاصل بين الجماعتين قط . و بعدتمام صلاتهما تقام جماعة حنفية أخرى ! فما القول في الامامين الاولين على ان الشافعي راتب والحنفي فضولي والحنفي الذي يصلي أخيرا راتب ؟ أرجوكم دفع هذا الالتباس ولكم الاجر الامضاء

مسلم لا يحب تفرقة الاسلام

(ج) ان تعدد الجماعة في وقت واحد بدعة مذمومة لا سبب لها فيما نعلم إلا جعلها وسيلة للمرتبات التي يأخذها أئمة المساجد من الاوقاف أجرة على الامامة وفي هذه الاجرة ما فيها . ولا التباس في المسألة فتحتاج إلى إزالته لان هؤلاء المفرقين لا يقولون ان إقامة جماعتين فأ كثر في مسجد واحد في وقت واحد مشروع فترد عليهم . ولا يرجى ان يترك هؤلاء الائمة ذلك باختيارهم الا بأحد أسباب ثلاثة (١) علم أولئك الائمة بالسنة والحرص على اتباعها (٢) رغبة المأمومين عن التعدد كأن يقيض الله لهم من يعلمهم ان أمتنا أمة واحدة ودينا واحد حرم الله علينا التفرق فيه بمثل قوله « أقيموا الدين ولا تتفرقوا » وان سلفنا الصالحين ما كانوا يقيمون جماعتين أو جماعات في وقت واحد مع مخالفة بعضهم لبعض في بعض الفروع الاجتهادية كما عليه الشافعية والحنفية وغيرهم ، وأن هؤلاء الخلف ما تفرقوا عن الجماعة إلا لاجل الدنيا . فاذا علم العامة ذلك لا يأبون ان يصلوا مع الجماعة الاولى في كل وقت ، ولكن هذا أبعد مما قبله لان علماءنا أهملوا تعليم العامة دينهم وصار أ كثرهم يكتفي من خدمة الدين بتكفير من يخالف رأيه أو هواه من المسلمين ، فحسبنا الله ونعم الوكيل . (٣) أن يصير للمسلمين رياسة دينية محترمة عند الحكومة وعند الناس يوكل اليها الفصل في أمثال هذه المسائل كأن يجعل ذلك من شأن المفتي ، فان قيل إن الدين الاسلامي لا رياسة فيه كغيره من الاديان قلنا لا نعني ان يكون له رؤساء يسيطرون على الناس في دينهم بل رؤساء يحترمون في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وغير ذلك من أمر الدين المتفق عليه ،

﴿ منع غير المسلمين من سكنى الحجاز ﴾

(س ٤) من الخواجه إلياس لطف الله بو سليمان بتينوغستا (الارجنتين)

حضرة العلامة العامل والأستاذ الكامل السيد محمد رشيد رضا　أدامه الله

بخضوع واحترام أقدم كامل الواجبات لشخصكم الشريف وارجو من سيادتكم الافادة إذا كان منع غير المسلمين من الدخول إلى أرض الحجاز المقدسة هو أمر ديني مقرر في الكتب الشريفة المنزلة أو في الحديث الشريف أم هذه عادة وفي الحالين ارجوكم إذا لم يكن من مانع ان تكرموا بالايضاح في احد اعداد ناركم المنير ولكم جزيل الفضل والمعروف . قال سعادة الشيخ علي يوسف صاحب المؤيد الاغر في عدد ٥٥٦٧ ما معناه ان المهندسين العثمانيين في سكة حديد الحجاز انفردوا بالعمل كله من العلا إلى المدينة لعدم جواز دخول غير المسلم ارض الحجاز . اختم بتكرار رجائي والله يديمكم مرجعا في جميع الامور كي تستنير منكم ومن ناركم العموم سيدي

(ج) روى أحمد والبخاري ومسلم من حديث ابن عباس قال اشتد برسول الله صلى الله عليه وسلم وجعه يوم الخميس وأوصى عند موته بثلاث « اخرجوا المشركين من جزيرة العرب ، وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم » ونسيت الثالثة. والذي نسي الثالثة هو سليمان الاحول وهي النهي عن اتخاذ قبره وثنا أو تجهيز جيش أسامة

وروى أحمد ومسلم والترمذي وصححه عن عمر انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول «لأخرجنّ اليهود والنصارى من جزيرة العرب حتى لاادع فيها إلامسلما»

وروى أحمد من حديث عائشة قالت : آخر ما عهد به رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لايترك بجزيرة العرب دينان - وروى أحمد أيضا والبيهقي من حديث أبي

عبيدة ابن الجراح قال آخر ما تكلم به رسول الله صلى الله عليه وسلم « أخرجوا يهود أهل الحجاز وأهل نجران من جزيرة العرب »

وذكر الحافظ ابن حجر في كتاب الجهاد من شرحه البخاري ان الجمهور على ان الذي يمنع منه المشركون من جزيرة العرب هو الحجاز خاصة قال وهو مكة والمدينة واليمامة وماوالاها لا فيما سوى ذلك مما يطلق عليه اسم جزيرة العرب لاتفاق الجميع على ان اليمن لا يمنعون منها مع انها من جملة جزيرة العرب . أقول قال في القاموس : جزيرة العرب ما أحاط بها بحر الهند وبحر الشام ثم دجلة والفرات أو ما بين عدن أبين إلى اطراف الشام طولا ومن جدة الى ريف العراق عرضا .

والذي جرى عليه العمل هو إخراج غير المسلمين من الحجاز ففي صحيح البخاري ان عمر أجلى اليهود والنصارى من أرض الحجاز . وذكر يهود خيبر فقال أجلاهم عمر إلى تيماء وأريحاء . وجعل بعضهم حديث أبي عبيدة مخصصا لتصريحه بلفظ « أهل الحجاز » وقال بعضهم انه لا يصلح مخصصا

وليس من غرضنا هنا تحقيق الخلاف وتحرير الدلالة وإنما نقول ان الحجاز هو الذي نفذ فيه الأمر وجرى عليه العمل فهو عند المسلمين كالمسجد ولا يشاركهم في مساجدهم الا من دان بدينهم وشاركهم في عبادتهم . وهذا التخصيص على كونه دينيا يتعلق بسياسة الاسلام فانه لما فيه من التساهل مع المخالفين لا يستغني أهله عن بقعة خاصة بهم لا يزاحمهم فيها غيرهم يأرزون اليها عند إلجاء الحوادث ومطاردة الكوارث . وليس الحجاز مما يصلح لكسب الدنيا والتمتع بزينتها فما منع غير المسلمين الا من مكان لا حظ لغير المسلم فيه الا ان يريد مزاحمته أو الافتيات عليه في خاصة دينه .

وقد بين المحققون ان حكم الاسلام في مكة انها وقف للمسلمين عامة . قال ابن القيم : وأما مكة فان فيها شيئا آخر يمنع قسمتها ولو وجبت قسمة ما عداها من القرى (اي التي تفتح عنوة) وهي انها لا تملك فانها دار النسك ومتعبد الخلق وحرم الرب تعالى الذي جعله للناس سواء العاكف فيه والباد فهي وقف الله على العالمين وهم فيه سواء ومنى مناخ من سبق قال تعالى ٢٢: ٢٥ ان الذين كفروا ويصدون

عن سبيل الله والمسجد الحرام الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد » — الى ان قال — فالحرم ومشاعره كالصفا والمروة والمسعى ومنى وعرفة ومزدلفة لا يختص بها أحد دون أحد بل هي مشتركة بين الناس اذ هي محل نسكهم ومتعبدهم فهي مسجد من الله وقفه ووضعه لخلقه » الخ

ثم ان لسائر ارض الحرمين احكاما خاصة فلا يحل صيدها ولا يختلى خلاها فمن هنا يعلم ان منع غير المسلمين من سكنى بلاد الحجاز ليس هو الحكم الذي تختص به وحده هذه البلاد . واما دخولها لغير السكنى ففيه أقوال اصحها عندي قول الشافعي انه لا يمكن غير المسلم من دخول ارض الحرم الا باذن الامام لمصلحة المسلمين . على ان المشهور في مذهبه أنه يجوز لغير المسلم دخول مساجد المسلمين باذن اي مسلم لا يختص بالامام الاعظم ولا يقيد بالمصلحة العامة . وقال بعض العلماء يجوز دخولهم ماعدا المسجد الحرام والحجاز

***

(الزكاة في القراطيس المالية « الانواط »)

(س ٥) من الشيخ محمد بسيوني في (سمبس برنيو)

حضرة الاستاذ الحكيم الشيخ العظيم سيدي السيد محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار الغراء متعني بوجوده أمين .

وبعد أهديكم ازكى التحية والاحترام أرجو من فضيلة سيدي الجواب عن هذا السؤال . لا زلتم مشكورين .

ما قولكم في الانواط هل تجب فيها الزكاة أم لا ؟ وما العلة في وجوبها أو عدمه افتوني سيدي بالقول الصحيح المعتمد مأجورين .

(ج) بينا في الفتوى ٢٨ من المجلد العاشر (ص ٥٣٩) ان القراطيس المالية التي تسمى (بنك نوت وانواط) من قبيل النقود الذهبية . وفي الفتوى الاولى من المجلد الخامس كلام في الخلاف فيها واعتماد كونها من قبيل النقد لا عروض التجارة وكون الزكاة تجب فيها والربا يحصل بها فليرجع الى ذلك ولو قلنا ان الزكاة لا تجب

في هذه القراطيس لأمكن للغني الذي يملك ألوف الألوف من الذهب أن لا يودي زكاة قط ولأبيح الربا بسهولة في أكثر معاملات المصارف (البنوك)

***

﴿ حديث من آذى ذميا ﴾

(س ٦) من محمد افندي احمد شمس بالاسكندرية

ملخص السوءال انه اطلع على خطبة للشيخ بشير الغزي العالم الحلبي الشهير فرأى حديثا لم يطرق سمعه وهو « من آذى ذميا فأنا خصمه ومن كنت خصمه خصمته يوم القيامة » وسأل عن تخريجه ليباهي بتساهل الاسلام فيه

(ج) الحديث أورده السيوطي في الجامع الصغير وعزاه الى معجم الطبراني الاوسط واشار الى انه حديث حسن . وفي معناه أحاديث أخرى في الوصية بالذميين والمعاهدين منها حديث عبدالله بن عمرو عند احمد والبخاري والنسائي وابن ماجه « من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة وان ريحها ليوجد من مسيرة اربعين عاما » وحديث علي عند الحاكم « منعني ربي ان أظلم معاهدا ولا غيره » والاسلام يأمر بأكثر من ذلك فقد قالوا انه يجب على المسلمين اطعام الذمي عند الضرورة ويستحب مع غير الضرورة كما تجب حمايتهم والدفاع عنهم ولو بمحاربة المعتدي عليهم

***

﴿ شرب الدخان في مجلس القرآن ﴾

(س ٧) من الشيخ ابراهيم حسين بهوارة عدلان (الفيوم)

حضرة العلامة الكامل والاستاذ الفاضل صاحب مجلة المنار الغراء

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته سيدي ومولاي : جرى الخلاف بين طائفة من أهل العلم في حكم التدخين أي شرب الدخان في مجلس تلاوة القرآن الشريف فنهم من حرّمه ومنهم من جوزه مع الكراهة مراعاة للآداب ولم يذعن احد الطرفين

القول الآخر وحيث ان سيدي ممن يرجع اليه في فصل الخلاف فقد حررت هذا لفضيلتكم راجيا التفضل بالجواب مبسوطا في العدد الآتي في مجلتكم مؤيدا بالحجج الاقناعية بدون احالة على مانشرتموه سابقا في المجلة لاجماله والصعوبة العثورعليه الآن على مثلنا ولفضيلتكم جزيل الشكر

(ج) قد بسطنا الكلام على هذه المسألة في الفتوى ٧١ من المجلد السابع (ص٥٣٧) وحاصل رأينا فيها أن شرب الدخان في مجلس القرآن يعد محظورا إذا كان العرف العام يعده من إساءة الأدب والاوجب على كل امرئ مراعاة ما يعتقده وتطمئن اليه نفسه مع الاحتياط في التزام الادب . وان الجرأة على التحريم من أكبر الجنايات على الدين إذا لم يكن الدليل عن الشارع واضحا نصا أو دلالة ولا نص في مسألتنا ولا دليل إلا ما يقال في مسألة الادب وهو شيء يتعلق إما بالعرف وإما باعتقاد الشخص وهو ما عتمدنا عليه من قبل وما نقوله الآن والله أعلم

***

—«(استعمال ساعة الذهب ولبس خاتمه)»—

(س ٨) من كاتب الشيخ عبد اللطيف أبي عوف بدنقله (السودان)

أرجوكم إفادتي بوجه السرعة على صفحات مجلتكم الغراء عن حكم لبس الساعة التي داخلها شيء من الذهب وكذا الخاتم ومقدار ذلك الذهب أعني عيار ١٢ او اقل ولكم الشكر

(ج) في الفتوى ٥٧ من فتاوى المجلد السابع (ص ٤١٩) تفصيل لمسألة التحلي بالذهب واستعماله ومنه بعد ذكر الأحاديث الواردة في المسألة والبحث فيها « وجملة القول انه ثبت في الصحيح النهي عن الأكل والشرب في أواني الذهب والفضة مع الوعيد والنهي عن التختم بالذهب وفي حديث مسلم انه شبهه بجمرة من نار ولم أره في المنتقى . واما مذاهب العلماء فيها فقد حمل الاقلون النهي على التنزيه دون التحريم وذهب داود الى تحريم الشرب في أواني النقدين واباحة ما عداه من أنواع الاستعمال وقاس كثير من الفقهاء غير الاكل والشرب عليهما

حتى حرم الشافعية اتخاذ الاواني وان لم تستعمل ، ثم بحثنا في علة ذلك واختلافها باختلاف الزمان . وذكرنا في آخر الفتوى ان الاحتياط أن يجتنب المسلم ما ورد به النهي الصريح ويراعي المصلحة فيما وراء ذلك بحسب اجتهاده مع الاخلاص . وراجع التفصيل ان شئت (في ص ٤٢١ — ٤٢٤ م ٧) والظاهر ان المراد بالذهب في النهي ما يعم التبر الخالص والمزيج من الذهب وغيره ما سمي ذهبا ويحتمل أن يقاس الذهب على الحرير عند من يقولون ان الثوب المحرم منه هو ما كان ابريسما خالصا أو ما كان الابريسم هو الغالب فيه وزناً أو نسيجاً . وانني أعتقد ان استعمال الساعة الذهبية انما تحرم إذا كان فيها إسراف أو مخيلة وكذا غيرها مما لا نص في النهي عنه والا فهو مباح او مكروه في الاكثر والله أعلم

***

﴿ رابطة النقشبندية ﴾

(س ٩) من ع . ب ح في سنقافوره

حضرة الفاضل صاحب المنار بمصر

نحن معاشر اهل الطريقة بهذه الجهات قد عثرنا على فتواكم في رابطة اهل الطريقة فحمدنا الله على صنيعكم وما ايدتم طريقتنا بقولكم (يمكن للمريد العارف بعقيدة الاسلام ان يجمع بين التوحيد وبين تخيل شيخه - الى أن قلتم - فمثل هذا لا يعد مشركا لشيخه مع ربه) ونحن فالله الحمد عرفنا بعقيدة الاسلام وان احضارنا صورة شيوخنا عند ذكر الله لانه من آكد الآداب والاستمداد منه هو استمداد من النبي صلى الله عليه وسلم وقلبه محاذي قلبه الى صاحب الطرق نبينا محمد (ص) وقلبه (ص) . ثم التوجه الى الحضرة الالهية كما هو مقرر في كتب الطريقة وقد عمل بالرابطة اولياء الله الصالحين ونحن من متبعيهم ومتبعي النبي (ص) وسلسلة طريقتنا متصلة اليه . الى حضرة النبي (ص) فكيف يقول حضرة الامام بسنقافوره ان الرابطة بدعة لم يعمل بها النبي ولا اصحابه ولا التابعون . بل قال الرجل ان اختراع الرابطة لم يكن في عهد الامام الغزالي وعبد الوهاب الشعراني وعبد القادر الجيلاني فهل يتصورن

كبار العلماء القائلين بالرابطة اخطأوا فيها وهذا المدعي واضرابه مصيبون فيتركهم الناس ويتبعون المدعي واضرابه كلا ثم كلا وقد تجرأ المدعي على أهل الطريقة قال ما معناه: ومن قال ان الدين الاسلامي يأمر بالرابطة فهو ا كذب من خطيب سمبس لان ذلك الخطيب وغيره قد نشروا ردودا على مجلة الامام بالجرائد ومن قول ذلك الخطيب ما معناه حيث ان الامام قد انكر الرابطة وقال انها بدعة لم يأمر بها الدين بل هي ممنوعة وجبت عليه التوبة ووجب عليه اعلان توبته بمجلته و بالجرائد التي كتب فيها مسألة الرابطة لئلا يغتر الناس بقوله في الدين اه ونرجو من المنار بسط الجواب هل هي بدعة ممنوعة ام لا

(ج) قد علم من جوابنا السابق ان الرابطة لم يرد فيها شيء من كتاب ولا سنة نبوية وانها ليست من أعمال الدين فطالب كل مسلم بها و يعد مقصرا في دينه اذا تركها وينكر عليه اذا أنكرها [illegible] بعد مبتدعا اذا عملها [illegible] هي طريقة في تربية النفس كغيرها من الطرق التي استحدثها الناس في التربية والتعليم واستفادوا منها بالتجربة ما كان عونا لهم على مقصدهم فمن قال ان الدين يثبتها أو ينفيها لذاتها فهو مخطئ، لأنه ليس فيها نص ديني [illegible] يقول ان طريقة كذا في التعليم مطلوبة أو ممنوعة دينا. نعم ان مايستحدثه الناس من طرق التربية والتعليم قد يخل عرضا بأمر من أمور الدين فيكون محظورا دينا لذلك العارض [illegible] اعتقد المريد ان شيخه يملك بالرابطة نفعه أو ضره وهدايته و [illegible] أو غوايته وضلاله.

واعلم يا أخي في الدين والطريقة انك لا تستطيع أن تدفع عن الرابطة الا اذا قلت انا لا نتخذها دينا وحينئذ لا [illegible] كونها بدعة [illegible] البدعة إنما تكون ضلالة اذا كانت في الدين وأما البدعة في غير الدين [illegible] حسنة [illegible] كما يؤخذ من حديث مسلم «من سن سنة حسنة فله أجرها [illegible] ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها [illegible] انقطاع الوحي ان يسن في [illegible] أمور الناس في تربيتهم وتعليمهم وسياستهم وسائر مصالحهم [illegible]

في دينهم لا يعد حكما دينيا يطالب به الناس على انه دين لان شارع الدين هو الله تعالى على لسان رسله عليهم الصلاة والسلام ولا شرع بعد انقطاع الوحي وختم الرسالة

ثم اعلم ان عمل بعض الصالحين بالرابطة لايدل على انها من الدين لأ نه لم يقل أحد من أئمة المسلمين وعلمائهم ان عمل الصالحين حجة في الدين وقد وقع كثير من الصالحين في البدع أو المعاصي عن جهل بالحكم الشرعي ويجوز عقلا ان يخطئ، بعض أولئك الصالحين في مسألة ويصيب فيها مثل صاحب مجلة الامام من المعاصرين . ولو شئت لأفشيت سر الطريقة وزدت بيانا ولكن لا محل لذلك هنا ولاحاجة اليه

وجملة القول ان صاحب مجلة الامام قد أصاب في قوله ان الرابطة ليست من الدين ولكن يظهر لي انه بالغ في الإنكار حتى جعل الدين محرما لها لذاتها وان لم يترتب عليها محظور أو تجعل شرعا ودينا كما بالغ المنتسبون الى الطريقة فجعلوها دينا كأنه وقع بها التكليف من رب العالمين على جميع المسلمين حتى صار المنكر لها كالمنكر بعض ماورد في الكتاب والسنة من أمور الدين . وهذا ما ننكره على الفريقين . وأوصي أهل الطريقة بترك المراء والجدل والنبز بالالقاب وأن لايجعلوا ذلك سببا للتفرق والخلاف في الدين فان ذلك يخرج صاحبه من حظيرة الدين (٣:١٠٥ ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات واولئك لهم عذاب عظيم)

تذكير مجلس المبعوثان

﴿ ببعض شؤون الاصلاح [(١)] ﴾

المحاكم الشرعية

ما زال حظ المحاكم الشرعية في البلاد العثمانية دون حظ المحاكم النظامية وسائر دواوين الحكومة ومصالحها فاننا لم نسمع حتى الآن صوتاً قوياً من المبعوثين في مجلس الأمة يطلب ما يجب من إصلاحها فهل تهيب حكومتنا إصلاح هذه المحاكم أو تتقاعس عنها كما فعلت الحكومة المصرية ؟ !

ان المحرك للحكومة المصرية والمرسل لها إلى الاصلاح أو الممسك لها عنه انما هو الاحتلال الانكليزي وكان الرؤساء من الانكليز يقولون اننا لا نمس الامور الدينية لانها لا تقبل الاصلاح أو لأن المسلمين لا يريدون اصلاحها أو يتهموننا فيها تهمة نحن في غنى عن التعرض لها ثم محاولة تبرئة أنفسنا منها. وقد ضج مسلمو مصر بعد ذلك بطلب إصلاح هذه المحاكم فكانوا مع الانكليز كالذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء .

ان المحاكم الشرعية في القطر المصري أمثل منها في سائر الولايات العثمانية من بعض الوجوه على ان اختصاص هذه أوسع من اختصاص تلك وليس لمجلس الامة في الاستانة ان يتعلل بمثل ما يتعلل به الانكليز عند مطالبتهم بإصلاح هذه المحاكم فمتى نسمع صيحة أهل العلم المحبين للاصلاح في المجلس ببيان ما يجب من إصلاحها ؟ .

أينسى أولئك المبعوثون أصحاب الغيرة على الشرع ان هذه المحاكم كادت تكون حجة على الاسلام وفتنة للمسلمين ؟ أينسى أولئك الاحرار الواقفون للاستبداد

(١) نشرناها في جريدة المفيد ببيروت

بالمرصاد انه لا يوجد معهد من معاهد الحكومة يباح فيه الاستبداد بغير تبعة ولا مسئولية إلا في المحاكم الشرعية حيث يحكم القاضي برأيه بلا مشاورة في الامر ولا مشاركة في الرأي ولامعرفة للمتقاضين بالمسائل التي يجب بها الحكم !! · فهل يرضى مجلس الامة ان تبقى هذه المحاكم على هذه الحال وهي المنسوبة إلى الشرع الذي بني على الشورى وأمر الرسول المعصوم بالمشاورة (صلى الله عليه وسلم) وجرى الخلفاء الراشدون على الحكم بها ؟

ألا يعلم نوابنا الكرام ان فساد هذه المحاكم مفسد لكثير من البيوت (العائلات) التي هي مرجعها في مسائل الطلاق والنفقات وغير ذلك من أمور الزوجية؟ أيستهينون بأمر الاوقاف وما لها من العلاقة بالامور الدينية والاعمال الخيرية التي لها شأن كبير في صلاح الامة وفسادها ؟

أول شئ يجب الالتفات اليه في إصلاح هذه المحاكم هو إدخال الشورى فيها بجعلها مؤلفة من اعضاء يحكمون بأكثر الآراء كما هو الشأن في المحاكم النظامية حتى ما يحكم فيها بالشرع الشريف كمحاكم الحقوق التي يحكم فيها بالمجلة · وقد سبقت مصر إلى هذا الاصلاح في محكمة القاهرة التي يرأسها القاضي الأكبر الذي يرسل اليها من دار السلطنة العثمانية · فإقامة هذا الركن الاسلامي في المحاكم الشرعية يبطل استبداد القضاة في الاحكام ويقلل ارتكابهم لجريمة الرشوة ويجعل الاقضية سريعة الانجاز فيصل الناس إلى حقوقهم في وقت أقرب مما يصلون فيه الآن ان وصلوا !·

يلي هذا الركن وضع كتاب في الاحكام التي تختص بها هذه المحاكم ككتاب مجلة الاحكام العدلية في سهولته وترتيبه وتقسيمه إلى مواد معدودة ومسائل محدودة تلزم الحكم بها و بيان عدد المسألة التي يستند في الحكم اليها · ولا حاجة إلى التذكير بفوائد هذا الكتاب التي (منها) كون المتقاضين يعلمون منه الاحكام التي يحكم بها في دعاويهم فيطبقونها عليها و يطلبون الحكم بها · (ومنها) توحيد الاحكام في الدعاوي التي موضوعها واحد لا كما يقع الآن كثيرا من حكم المحاكم المختلفة بل المحكمة الواحدة في مثل هذه القضايا باحكام مختلفة يؤخذ فيها مرة بقول فلان ومرة بقول غيره ، ناهيك بما في

كتب فقه الحنفية من الخلاف في التصحيح والترجيح وما يكون في هذه الاحكام المتعارضة من الفضائح وضعف الثقة بالدين واهله (ومنها) سهولة تناول الحكم وتضييق مسالك الخلاف فيه بين اعضاء المحكمة . وبوجود مثل هذا الكتاب تتحقق قاعدة كون الجهل ليس بعذر . وانه ليعسر الآن على من زاول كتب الفقه عدة سنين أن يعرف الحكم الذي يحكم به القاضي الشرعي في قضية ما فما بالك بمن لم يزاول هذه الكتب واكثر المسلمين لا يستطيعون ذلك

ولا بد من تعزيز هذين الركنين بثالث وهو وضع نظام لسير هذه المحاكم في اعمالها وكتبتها وسجلاتها ويجب ان تغل فيه يد رئيسها عن الاستبداد في الاعمال كعزل الكتاب ومتولي الاوقاف وموظفي المساجد واستبداد غيرهم بهم أو تقديم بعض القضايا على بعض بل يجب ان يكون كتبة المحكمة كسائر عمال الحكومة لا يعزلون الا بمحاكمة يثبت فيها عليهم ما يوجب عزلهم . وانا لننتظر من حكومتنا الجديدة قانونا عادلا لمجالس أو محاكم التأديب التي يحاكم فيها جميع عمالها

اما الرسوم التي تؤخذ في هذه المحاكم وتقسم بين القاضي والكتبة فيغلب على ظني أن المالية تبطلها ان لم تكن قررت ابطالها بالفعل في الميزانية الجديدة وحددت مرتبات القضاة ورؤساء الكتاب وسائر الكتبة فان في أخذ المحكمة للرسوم مفاسد كثيرة لا تخفى على اولي الامر وما هم لها بمهملين

الركن الرابع من اركان الاصلاح جعل هذه المحاكم ابتدائية واستئنافية في كل ولاية كالمحاكم النظامية وابقاء التمييز في الاستانة ما بقي تمييز الاحكام العدلية فيها وان كان في ذلك مشقة على أهل الولايات البعيدة وتعويق للاحكام النهائية يرجى ان تتلافاها الحكومة أو يتلافاها مجلس الامة

وأقترح على باب المشيخة الأسلامية وعلى مجلس الامة ان يعهدا الى اللجنة التي تنظر في اصلاح المحاكم الشرعية بمطالعة تقرير الاستاذ الامام (الشيخ محمد عبده) الذي قدمه لنظارة الحقانية في شأن محاكم القطر المصري وما يلزم لاصلاحها ومطالعة لائحة محاكم ذلك القطر القديمة والنظام الجديد الذي وضع اخيرا فان في ذلك عونا كبيرا والله الموفق

خطبة

﴿ على اعضاء المجلس العمومي ببيروت ﴾

دعا كامل بك الاسعد كبير عشائر جبل عامل رفاقه أعضاء المجلس العمومي بولاية بيروت الى داره فيها وأعدلهم مأدبة حضرها صاحب هذه المجلة وبعض وجهاء بيروت. وبعد الفراغ من الطعام وقف دعاس افندي جريس أحد الاعضاء وأثنى على رب الدار، وأطرى صاحب المنار، وأشار الى رغبة الحاضرين في استماع شيء منه في موضوع المجلس العمومي ورأيت الانظار موجهة الي تنتظر الاجابة فشكرت وقلت بعد مقدمة فكاهية ماملخصه :

ان للمجلس العمومي فائدتين فائدة اجتماعية وفائدة عملية أما الفائدة الاجتماعية فهي تنشئة الامة وتربيتها على الحكم النيابي اعني حكمها لنفسها بنفسها

ان أمر هذه المجالس العمومية من أفضل ما في القانون الاساسي من الاصلاح فلو لم يكن للامة أحد من قبلها ينظر في مصالحها إلا المبعوثون في عاصمة السلطنة لأمكن ان يبقى أهل الولايات ولاسيما البعيدة عن العاصمة جاهلين لمعنى مشاركة الامة للحكومة في ادارة مصالحها ولكن وجود أفراد من كل قضاء بكل ولاية في مجلس قريب منهم يشرف على اعمال حكومتهم وينظر في مصالحهم ومنافعهم هو الذي يعلمهم بالعمل معنى الحكومة الديمقراطية ويجعلهم واثقين بان حكامهم عمال مخلصون لاسادة قاهرون وانهم لا يستطيعون ان يستبدوا فيهم أو يظلموهم الا اذا ظلموا هم انفسهم

ان المبعوثين يشتغلون بأمور الدولة الكلية فمصالح الاهالي لاتتعلق بهم مباشرة وانما تتعلق بحكومتهم المحلية فذلك المجلس ينظر في القوانين العامة ولكنه لاينظر في كيفية العمل بها في كل قضاء بحسب حاجته ولكن هذه المجالس العمومية هي التي تنظر في ذلك فتقرر اصلاح كذا من الطرق وانشاء كذا من المكاتب والمدارس في الاماكن التي تعينها والاهالي يرون ذلك بأعينهم ويعلمون انهم نالوه برأي نوابهم ونفوذهم في

حكومتهم فبذلك يتربون على الحكم النيابي ويعرفون قيمته فلا يرجعون عنه ولا يرضون بالحكم الشخصي بعده

ان مجلسكم هذا صورة مصغرة لمجلس المبعوثان فاذا قمتم بما عهد اليكم كما يرجى من غيرتكم وخبرتكم فانكم تكونون أولى من غيركم بالترجيح في الانتخابات القابلة لأن الاهالي يكونون قد وثقوا بكم عن تجربة وخبرة كما يكونون أكثر عناية بالانتخاب وأكبر أملا في المنتخبين

ان ما ذكرت في معنى تربية الامة على الحكم النيابي أمر عظيم يجب ان يكون نصب أعينكم فان له علاقة عظيمة بمستقبل البلاد وعظمة الدولة . ان الدولة لا تكون دولة دستورية الا اذا استقر الحكم الدستوري في كل ولاية من ولاياتها وعمرت به البلاد وارتقى أهلها

ان كل ولاية من الولايات تعد عضوا من أعضاء جسم الدولة ولا يمكن ان يكون الجسم حيا قويا سويا اذا كان بعض أعضائه صحيحا وبعضها مصابا بالفالج .

ثم انني أذكركم بما لا تنسونه من ان في الامة حزبا يرى وجوب استقلال كل ولاية من ولايات الدولة في ادارتها الداخلية كالولايات الالمانية أو الولايات المتحدة فاذا كانت البلاد العثمانية غير مستعدة لذلك الآن واذا كان هذا الحزب الآن ضعيفا لا يستطيع تنفيذ رأيه فما يدرينا ماذا يكون في المستقبل البعيد أو القريب من أمره وأمر البلاد ؟ ألا يجوز ان يقوى بعد وان تكون الوزارة في يوم ما من أعضائه والرأي الغالب في مجلس الامة هو رأيه ؟ ؟ (يجوز يجوز) اذاً كيف يكون حال ولايتنا هذه وسائر الولايات العربية التي هي دونها ودون سائر ولايات الدولة في الاستعداد للاستقلال الاداري ؟ انا نعترف باننا عاجزون الآن عن ادارة شؤون ولايتنا بدون استعانة باخواننا من الترك مع ان ولايتنا أرقى الولايات العربية وقد قلت من قبل وكتبت في المنار ان الولايات السورية تعد وسطا في الاستعداد والارتقاء بين ولايات الروملي وبعض ولايات الاناطول وبين سائر الولايات العربية كالعراق والحجاز واليمن . فيجب ان نرقي انفسنا وان نكون مصدرا أو عونا لسائر الولايات العربية على الارتقاء بل أقول ان اخواننا الترك الذين نعترف لهم بانهم أرقى منا لا يستغنون الآن

عن الاستعانة بالاجانب لترقية ولايتهم كما نحتاج نحن اليهم والى الاجانب

وهذا الرأي عندي قديم وقد كاشفت به متصرف طرابلس والوالي ايضا فن الحتم ان نوجه جلّ عنايتنا للحكم الذاتي والاستغناء بانفسنا عن الاجانب

ايها الاعضاء الكرام: ان هذا الغرض الذي تطالبون به عظيم ولكن قوة الارادة في الانسان تصغر كل عظيم وتسهل كل عسير فاذا وجهتم عزائمكم الى ذلك بالاخلاص فانكم تصلون الى الغاية باذن الله

وقل من جد في امر يحاوله واستعمل الصبر الا فاز بالظفر

يرى بعض الفلاسفة ان الانسان لا يجزم ارادته بامر ممكن الا وينفذ وكان الاستاذ الامام على هذا الرأي وقد قال لنا اكثر من مرة انه لم يجزم ارادته بطلب شيء جزما تاما لا تردد فيه الا وحصل وقد كان حكماء الصوفية على هذا الرأي وعبر عنه بعضهم بقوله « ان لله عبادا اذا ارادوا اراد » اي اذا صح توجه ارادتهم الى شيء تعلقت به ارادة الله وما تعلقت به ارادة الله عد حتما فعلى الانسان ان يعرف قيمة نعمة الارادة فيوجهها الى خدمة وطنه جازما بانه أهل لأن يرقيه وهو بهذا يكون اهلاً له مهما كانت معارفه فان تفاضل الناس بالارادة فوق تفاضلهم بالمعرفة فما كل عالم ينفع وكل من اراد ان ينفع فانه ينفع على قدر استعداده

هذا ما أحببت ان اذكر به من أمر الفائدة الاجتماعية في المجالس العمومية واما الفائدة العملية فهي قسمان مادية وأهمها إصلاح الزراعة وتسهيل المواصلات وتعديل الاموال الاميرية . ومعنوية وهي التربية والتعليم والبحث في هـذه المسائل يطول وأنتم أعلم بحاجة البلاد وطرق عمرانها من رجل مثلي ليس له مثل اختباركم ولكنني أذكركم بثلاثة أمور تتعلق بالتعليم هي أهم المسائل في رأيي : مراقبة التعليم والتربية في المدارس، وإنشاء مدرسة للمعلمين ، واحياء لغة البلاد

ان مدارس الحكومة ليس فيها تربية ولا تعليم نافع بل ربما كان ضررها أكبر من نفعها وانما كان حظ الحكومة المستبدة السابقة منها هو التمتع بصورة الملك دون التربية التي تكون النفوس الفاضلة والتعليم الذي يربي العقول الكبيرة

ان الدول تؤلف في هذا العصر من عدة وزارات منها وزارة المعارف وهذه

الوزارة لا تكون بغير مدارس فكان بقاء المكاتب والمدارس في عهد الاستبداد الماضي لدولتنا لاجل استكمال صورة الملك والتمتع بها فان التمتع بالمظاهر الصورية له لذة كما ترون في تمثيل القصص والا فإن الاستبداد كان يحارب العلم حربا عوانا

فان أردتم ان يكون التعليم نافعا في مدارس الحكومة فيجب ان تبدأوا بالامر الاول وهو مراقبة التعليم بان تطلبوا تعيين مفتشين ممن يرضى الاهالي معرفتهم وغيرتهم وصدقهم يتعاهدون هذه المدارس ويراقبون سيرة مدبريها ومعلميها في التربية والتعليم. ثم ان فساد التعليم في الزمن الماضي قضى بان يكون المعلمون الا كفاء فينا اندر من الكبريت الأحمر فالاصلاح الحقيقي للتعليم يتوقف على إنشاء مدارس لتخريج المعلمين القادرين على التربية والتعليم بالطرق العصرية القريبة. يجب ان يكون الاستاذ المعلم على علمه بالفن الذي يعلمه مهذبا ليكون قدوة للمتعلمين في الفضيلة فان فاقد الشيء لا يعطيه. ويجب ان يكون مع ذلك عارفا بطرق التربية والتعليم فما كل مهذب يعرف كيف تكون ملكات الفضائل في النفوس ولا كل عالم يعلم كيف ترسم مسائل العلوم في الاذهان فلا بد من إنشاء مدرسة للمعلمين في مركز الولاية

واما احياء لغة البلاد واعني بها اللغة العربية فالذي نطالب به الحكومة من وسائله هو جعل تعليمها في مدارسها كلها الزاميا كأختها التركية وجعل دراسة العلوم في الولايات العربية بلغة أهلها وفي سائر الولايات بالتركية كما كان بحسب القانون والذي يقرر هذا هو مجلس الامة في الاستانة وانما على المجالس العمومية المطالبة به

لا يقال ان هذا يفتح علينا باب تعصب الجنسيات في الدولة وانا في أشد الحاجة إلى الاتفاق والتئام الاجناس فان الفرق بين العرب وبين ما عدا الترك من الاجناس واضح جدا

ان الشعب العربي يعد نحوا من ثلثي نفوس الدولة ويقل فيه من يعرف التركية وأما سائر الاجناس : الالبانيين والاكراد والارمن والروم فكلهم يعرفون اللغة التركية فلا يحتاج الحكام والموظفون فيهم إلى معرفة لغاتهم ليحسنوا القيام باعمال الحكومة فيهم بل ان أكثرهم ليس لهم لغات علمية ذات فنون ومعاجم تصلح للتعليم، فالارمن قريبو عهد بتدوين لغتهم وجعلها تعليمية والألبان والاكراد

لما يتم لهم ذلك بل قرأنا في بعض جرائد هذا الشهر ان الالبان قد عزموا على اختيار الحروف العربية لقلمهم التي يشتغلون بتدوينها ومن المقرر انغرض الحكومة الأول من مدارسها هو تخريج الموظفين الاكفاء فاذا كان المتخرجون فيها جاهلين باللغة العربية التي هي لغة أكثر العثمانيين يتعذر عليهم ان يقوموا بوظائفهم كما يجب في أكثر بلاد الدولة فان من يجهل لغة قوم يتعذر عليه ان يعرف حقيقة حالهم وما ينبغي لهم وما يتظلمون منه . ولا يقول عاقل انهم يستغنون بالمترجمين لما في ذلك من العسر والنفقات وأين يتعلم المترجمون ؟ على أن العربية ركن للتركية فتعلمها يزيد المتعلم كمالا فيها اما جعل اللغة العربية هي لغة العلوم والا كتفاء من التركية في بلادنا بالقراءة والكتابة فذلك ان الامة التي لا تتلقى العلوم بلغتها لا تكون امة علم وانما يكون مبلغها من العلم أن يوجد فيها بعض المترجمين لبعض ما يقرره العلماء المستقلون ولا يوجد فيها المحققون والمخترعون والمكتشفون

ان لغة الامة صفة مقومة لها واللغات التي يتعلمها بعض افرادها اعراض تعرض لها وتفارقها فاذا تلقت العلم بلغتها يصير صفة لها حية بحياتها نامية بنمائها واذا تلقته بلغة اجنبية فقصاراه أن يكون زينة عارضة لبعض افرادها ولا ارتقاء للامم في هذا العصر الا بالعلم فيجب علينا أن نبذل جل عنايتنا في تحصيل العلوم العصرية ونقلها الى لغتنا ولا حياة لنا بغير ذلك واننا في عملنا هذا لا نبعد عن اخواننا الترك بل نكون اخوة متساوين في المزايا والحقوق كما يجب أن يكون الاخوة . والمساواة الحقيقية لا تكون مع التفاوت في العلم والعرفان (فليس سواء عالم وجهول)

ارجو عفوا فقد اطلت عليكم عقب الا كل ووقت طلب الراحة فان خلطت في الكلام فربما كان سبب ذلك الخلط في الطعام ، وتوجه اكثر الدم الى المعدة واقله الى الدماغ والسلام

الحرية واستقلال الفكر

آخر خطبة في بيروت

دعيت الى حضور الاجتماع الشهري لجمعية الجامعة العثمانية ببيروت في أوائل هذا الشهر (آذار) فاقترح علي رئيسها ان أخطب فيهم بما يفتح الله به حاكيا عن رغبة الجمهور فقمت وقلت ما ملخصه بحسب ما أتذكر

أيها الاخوان الكرام

إن المسائل التي تحتاج الى البحث فيها واستجلاء غوامضها كثيرة جدا فمن الناس من اذا اقترح عليه ان يخطب يبادر الى الكلام في الموضوع الذي يتبادر الى ذهنه سواء كان مطابقا لمقتضى الحال يرجى ان يستفيد منه السامعون ما يصحح أفكارهم أو يقوم أعمالهم أم لا . ومنهم من يرى هذه الطريقة منتقدة وانه لابد ان يخاطب الناس بما يتعلق بحالهم وما ينبغي ان يكونو عليه في أفكارهم وأعمالهم فلا يحثهم على ماسبيل اليه ولا يغرر لهم مالا يفهمون حقيقته

مثال من ذلك : ان بعض الخطباء يقف فيقول أيها العثمانيون عليكم ، بالاتحاد عليكم بالائتلاف ان الاتحاد هو مفيض العمران ومرقي الأوطان ورافع شأن الإنسان. و يكتفي بمثل هذه الخطابيات المجملة التي لا يعلم السامعون كيف يمكن العمل بها فان اتحاد المختلفين في التربية والتعليم والعقائد والافكار والاخلاق والتقاليد والعادات من الامور لا يمكن ان تحصل بمجرد الحث عليها ومدحها و إنما يجب بيان ما يشترك فيه من يراد حثهم على الاتحاد واقناعهم بأن منافعهم ومصالحهم مرتبطة به وانها إنما تحفظ وتنمو باتحادهم واتفاقهم وتذهب أو تضعف بتخاذلهم وتفرقهم

أما أنا فأقول ان كل كلام صحيح المعنى لا يخلو من فائدة والفكرة الاجمالية لا تخرج الى حيز التفصيل إلا بابرازها بالقول أو بالكتابة ومن لم يستفد اليوم من الكلام

الصحيح فائدة تامة يرجى أن يستفيد غدا فليقل كل أحد ما يرى أنه حق نافع وليقدم الاهم على غيره وهو ما كانت حاجة الناس اليه اكثر . واذا قيل لنا ما هو أهم ما نحتاج اليه الآن ؟ قلنا أننا محتاجون الى اشياء كثيرة من العلوم والاعمال لاجل ان ننهض لما نكون به أمة عزيزة ولكن نهوضنا يتوقف على أمر عظيم لا يحصل بدونه . فما هو هذا الامر الذي هو شرط للارتقاء في كل علم وكل عمل بحيث يلزم من عدمه العدم ؟ ألا إنه هو الحرية الشخصية واستقلال الفكر

قد قلت في بعض الخطب التي تكلمت فيها عن الحرية ان استعداد البشر للارتقاء ليس له حد يعرف ولا غاية تحدد فاذا عاشوا ملايين من السنين يمكن أن يكونوا في ارتقاء مستمر لا ينقطع اذا كانت حريتهم في العلم والعمل مصونة من عبث المستبدين فهكذا ترتقي الامم على قدر صيانتها واحترامها للحرية وتتخلف عن الارتقاء بل ترجع الى الوراء على قدر عبثها بالحرية وتحكمها في الباحثين والعاملين

مضت سنة الله في البشر بأن الفكر يسوق العمل فاذا كانت أفكار العقلاء والاذكياء مضغوطة ممنوعة من الحركة والنمو فيها لا تكون مستقلة والامة لا تخطو خطوة واحدة الى الأمام الا اذا أطلقنا العنان لجياد الافكار تجول في ميادين الكتابة والخطابة بلا حجر ولا ضغط لا فرق في ذلك بين المسائل الدينية والاجتماعية والسياسية وغيرها

يجب علينا أن نحترم رأي من يخالفنا كما نحترم رأي من يوافقنا لأن الفلاح متوقف على ظهور الحقائق وظهورها يتوقف على استقلال الأفكار وحرية البحث والكتابة والخطابة ولا يخاف على دينه من حرية البحث إلا من لا ثقة له بدينه ومن كان واثقا بأنه على الحق فانه يعلم أن مخالفته فيه لا تزيده الا قوة وظهورا فقد نطق الكتاب العزيز بما هو ثابت عقلا واختبارا من أن الحق يعلو ولا يعلى وانه ما تصارع الحق والباطل الا وصرع الأول الثاني « بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق » وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا »

علينا أن نبحث بعد هذا عن أنفسنا لنعلم هل نحن نحترم استقلال الفكر وحرية القول والعمل ؟ هل قمنا بحق هذا الشرط الذي يتوقف عليه كل مقومات الحياة الاجتماعية والسياسية واسبابها ؟ إن حكومتنا تركت الضغط على عقولنا وافكارنا

والحجر على ألسنتنا وأقلامنا لنكون احرارا في أقوالنا واعمالنا فهل صرنا أحرارا بالفعل ؟

نعم أن الحكومة تركت الاستبداد والاستعباد وأباحت لنا الحرية طوعا أو كرها ولكننا ما قبلناها فان الافكار لا تزال مضغوطة محجورا عليها أن تبرز من مضيق الدماغ الى فضاء الوجود الخارجي والحرية الشخصية مهددة لا من الحكومة بل منا أنفسنا

في البلد حوادث حيوية كثيرة لا يكتب أحد من أصحاب الجرائد رأيه فيها بالحرية . ولماذا ؟ أيخاف من « المراقب » أن يرجعها له ؟ لا إن الجرائد لا تعرض الآن على المراقبين كما كانت تعرض في زمن استبداد الحكومة ولكن ما سقط مراقب الحكومة الا وقام مثل عمله من لا يحصى من دهماء الأمة يفتاتون على أصحاب الجرائد وكتابها وعلى الحكومة نفسها وربما كان هذا الاستبداد أشد وطأة واثقل ضغطا من استبداد الحكومة

إن جرائد بيروت كان لها مدير واحد لسياستها هو المراقب وكانت نسبة أصحابها ومحرريها اليه كنسبة محرري الجرائد الكبيرة في البلاد الحرة الى رئيس التحرير أو مدير السياسة . فكانوا اذا أرادوا كتابة شيء يتحرون أن يكون بحيث يرضيه وقد عرفوا ما يرضيه ويجيزه فلم تكن مراعاته متعذرة عليهم ولكن يتعذر عليهم الآن أن يعرفوا ما يرضي هؤلاء المراقبين الذين حلوا محله لأن عقولهم وآراءهم ليس لها قاعدة ترجع اليها ولا ميزان توزن به . فهل يمكن أن ترتقي الصحافة أو الافكار في بلاد يفتات على حملة الاقلام وارباب الافكار فيها كل أحد حتى البحار والحمال وبائع الحمص والفول !!

انا قد تغنينا باسم الحرية في أيام إعلان الدستور وألقينا الخطب الكثيرة في وصفها ، وانشدنا القصائد العديدة في مدحها والتغزل بها، وكان هتاف الجماهير للخطباء والشعراء ، يعلو في الجو حتى يبلغ عنان السماء ، وكتبنا ذلك الاسم الجميل « الحرية » بالخطوط الجميلة وزينا به البيوت والمعاهد العامة والخاصة والحدائق فظهرنا بمظهر العاشق الولهان لهذه الحرية الجميلة ولكنني اخشى أن نكون في عشقنا لها كعاشق أم عمرو ؟ ولعل بعض الحاضرين لايعرف خبر هذا العاشق فاذكره إعلاما له وتذكيرا لغيره من بعض الناس بصديق له مرة قرأه على غير ما يعهد : رآه قلقا مضطربا فسأله

عن حاله فقال إني عاشق ولهان لا يقر لي قرار ، ولا يطيب لي اصطبار ، ولا يهنأ لي طعام ، ولا يزور جفني منام ، قال له صاحبه من عشقت ؟ قال عشقت أم عمرو ، أجمل نساء العصر ، قال من هي أم عمرو ومتى رأيت وجهها المليح ، فبرح بك هذا التبريح ؟ قال لا أدري من هي ولا لمحتها عيني وانما سمعت رجلا ينشد في الطريق:

يا أم عمرو جزاك الله مكرمة ردّي عليّ فؤادي اينما كانا

فقلت في نفسي لولا ان أم عمرو هذه أبرع النساء جمالا وحسناً، وأوفرهن من الوسامة قسماً، لما قال الشاعر فيها هذا القول فعشقتها

وقد طال على هذا العاشق الاحمق عشق تلك المعشوقة المجهولة حتى مرّ به صاحبه يوما فاذا هو يبكي وينتدب قد ساورته الاحزان ، وواثبته الاشجان ، فسأله مادهاك ؟ فصاح أواه واويلاه ! لقد بليت بأشد المصائب وأعظم النوائب فقد ماتت أم عمرو ،وغلبه النشيج وأخذ في النحيب ،ولما سكت عنه الروع قال له ومن أخبرك بموتها فهل رأيتها وعرفتها ؟قال لا ولكنني سمعت الشاعر ينشد في الطريق:

لقد ذهب الحمار بأم عمرو فلا رجعت ولا رجع الحمار

فقلت لولا انها ماتت لرجعت ولما قال الشاعر هذا القول

ثم انني أخشى ان تكون حريتنا المعشوقة ، هي أم عمرو المجهولة ، فان الحرية الحقيقية قد تعرفت الينا فنكرناها ، ورغبت فينا فرغبنا عنها ،وأحبت القرب منافاخترنا البعد عنها ،والا فما بال الكثيرين منا ، يسلطون العامة على من يبدي رأيا يخالف رأيهم أوهوى أنفسهم ، يهددونه ويهينونه ، واذا لم يوجد له عصبة تمنعه منهم فانهم يضربونه ،ومتى كانت الحكومة المستبدة تضطهد حرية الفكر والعلم أشد من هذا الاضطهاد ، وتحاول استعباداً أقبح من هذا الاستعباد ، أي العبوديتين اذل ، ألعبودية للحكومة أم العبودية للعامة ؟

كان الخطباء والشعراء يقولون في أيام عيد الحرية في مدح الأمة نحواً مما يقولونه في مدح الحرية نفسها لإظهار التناسب بينهما ولا يزال كثيرون منهم يسمعوننا مدح أنفسنا ، ويشيدون بفضلنا وفضل سلفنا ، ويتمثلون بقول شاعرنا : نبني كما كانت أوائلنا الخ

أما أخوكم هذا فيقول ان ما كان يقال في أيام عيد الحرية لا ينبغي أن يقال اليوم ولا في كل يوم ... ان الأعياد في عرف الناس هي أيام السرور والابتهاج فيحسن ان

يتناسي فيها ما يسوء ويتحرى فيها مايسر ، وهذه أيام الجد والعمل فيجب ان نعرف فيما ما نحتاج اليه في هذا العصر لنجاري الامم العزيزة القوية ، الرائعة في بحبوحة المدنية ، لان أن نمني النفس بالأقوال التي يلذ سماعها ونترك السنن التي نرقى باتباعها

يا قوم انا مرضى ومن كتم داءه قتله ، انا مرضى ويجب علينا ان نداوي أنفسنا ، ان الادوية لا يقصد بها اللذة ، بل يقصد بها المنفعة ، هل سمعتم ان الاطباء يداوون المريض المدنف باطعامه اللحوم المالحة بالبقول والافاويه والكنافة والقلاوة والاشربة المثلوجة ؟ لا ، لانهم يداوونه بالمسهلات البشعة الطعم والكينا المرة وربما داووه بالسكين بنال شيئاً من بدنه ، وكذلك تكون أدوية الامراض النفسية . وانمليسو لي ان أصرح لكم بما يولمكم ولكنها الحقيقة لابد منها وان كانت مرة كالدواء « أخوك من صدقك لا من صدقك »

ان من فضل الحرية علينا ان صرنا قادرين على البحث عن مرضنا وعلى الاجتهاد في معالجته فيجب ان نعرف قيمة هذه النعمة وان نشكر الله تعالى عليها بالعمل الذي نستفيد به منها

أعود فأقول انا لا يجوز لنا ان ندعي انا عرفنا الحرية وانا نقدرها قدرها الا اذا كنا نحترم استقلال الفكر فلا نعارض أحداً في إبداء رأيه واظهار علمه باللسان أو القلم ولا يمكن ان نخطو خطوة واحدة الى الامام بدون هذا

فعليكم أيها الفضلاء المحبون لخير أمتكم وتقدم بلادكم أن تنصروا الاستقلال الذاتي والحرية الشخصية وأن تبذلوا الجهد المستطاع في بث هذا الفكر في طبقات الأمة وتقنعوا أولئك الذين نسمع أخبار افتياتهم على الكتاب وأصحاب الجرائد بأن عملهم هذا ضار ببلادهم وان الذين يغرونهم بذلك هم اهل الاهواء الذين يتبعون حظوظ أنفسهم ولو فيما يضر بلادهم

انصروا حرية البحث والطباعة لكي تتجلي للأمة الحقائق فتعرف مايضرها وما ينفعها ولكي تتربى فيها العقول الكبيرة بعد رفع الضغط عنها . ان تعملوا هذا تخدموا بلادكم أجل خدمة . وأراني اطلت عليكم في هذا الكلام الحار مع حرارة الجو بكثرة الاضواء وازدحام الناس فحسبي هذا والسلام

خوارق العادات

❴ في الاسلام (*) ❵

اطوار البشر والمعجزات – المعجزات العقلية والحسية – علم الغيب – التنويم المغنطيسي
استحضار الارواح – الكهانة – الاحلام – السنن الكونية والمعجزات
جرائم الامم والافراد والعقوبات الالهية عليها

أتى على الانسان حين من الدهر كان في طور أشبه بطور الطفولية ، فسادت الأوهام والخرافات على العقول البشرية ، وكثر بين الناس الدجالون والمحتالون ، والسحرة والمشعوذون ، وملكوا نواصي الناس بإفكهم وكذبهم ، وصاروا يتصرفون في جميع أمورهم ، فما كان أحد يقدم على عمل ما إلا بعد مشاورتهم ، والاسترشاد برأيهم ، فكان الناس في أيديهم كالانعام بل هم أضل سبيلا ، عقول فاسدة ، وآراء كاسدة ، وأفهام ساذجة ، وبصائر قاصرة ، وجهل وأوهام ، وخرافات وخزعبلات ، تقيمهم وتقعدهم ، وتفرحهم وتحزنهم ، وتخيفهم وتزعجهم ، فاذا برق بارق من السماء ارتجفوا واضطربوا ، وإذا نزلت صاعقة من السحاب ماجوا وارتعبوا ، وإذا أصابهم مرض ما علقوا لدفعه الاوراق ، أو استجدوا براق ، وإذا نظر إلى بنيهم ناظر حوطوهم بالتمائم ، وأطلقوا حولهم بخور المباخر ، وإذا كسفت الشمس أو خسف القمر صاحوا ودقوا الدفوف وقرعوا الطبول لإرضاء آلهتهم على ما يزعمون – إلى غير ذلك من الاوهام والأباطيل.

هذا كان شأن الجماهير إلا من شذ منهم وندر، وأضاء الله عقله بشيء من نور العلم ومع ذلك ما كان يسلم عقله من جميع ترهاتهم

سار الله تعالى مع تلك الأمم في هذا الطور سير الأب الحكيم مع أبنائه في طفوليتهم فأكثر فيهم الهادين والمرشدين والأنبياء والمرسلين فأكثروا من وعظهم ونصحهم وانذارهم ووعدهم ووعيدهم . وخذلوا من كانوا متسلطين على عقولهم من

(*) بقلم الدكتور محمد افندي توفيق صدقي الطبيب بسجن طره

السحرة والمشعوذين بما أجراه الله على أيديهم من المعجزات ، وأظهرهلم من الآيات البينات ، التي تركت السحرة مغلوبين في أمورهم ، حيارى في شأنهم ، ولولا تلك الآيات لما قدر الأنبياء على تخليص أممهم من حبائل الدجالين والمحتالين ، بل الابالسة والشياطين ، فكانوا إذا ظهرت تلك المعجزات بهرت منهم العقول وحيرت الأفكار وأعجزت السحرة وأدهشت الناس فيخضع المستعد منهم لبينة من ظهرت على أيديهم فيؤمنون له ويتبعونه ، ويطيعونه فيما يأمرهم به (وما نرسل بالآيات إلا تخويفا) ثم يأخذ الله المعاندين الذين خالفوا ضمائرهم وكابروا عقولهم وأبصارهم ولم يميزوا بين الغالب والمغلوب ، والصادق والكذوب ، بأنواع من العقوبات تناسب أحوالهم جزاء لهم وعبرة لغيرهم لعلهم يرشدون

مضت الأيام والأعوام ، وتوالت القرون والأجيال ، وانتقل البشر من حال إلى حال ، وارتقوا من طور إلى طور ، فأخذت العقول تستنير ، والأفكار تضيء والسحر يضمحل ، والأنبياء من بينهم تقل ، حتى ختمت النبوة ببعثة سيد الأنبياء والمرسلين وأكبر الهادين والمصلحين

كان البشر في عهد البعثة المحمدية ، قد خرجوا من طور الطفولية إلى سن الرشد فأصبحوا لا يناسبهم من الدلائل والبراهين ما كان يناسبهم في القرون الأولى وقل فيهم تأثير المحتالين والدجالين والسحرة والمشعوذين ، وصاروا يرجون الهداية من طريقها ، فساعدهم الاسلام على ذلك ونهج بهم منهجا لم يسبقه به دين من قبل ، فجعل الحجج العلمية والدلائل العقلية رائده في جميع دعاويه وعليها معتمده في كل مبانيه ، وقلل من شأن المعجزات الحسية بقدر الامكان ، حتى لا تكون عقبة في رقي عقل الانسان في مستقبل الزمان ، (وما كان لرسول ان يأتي بآية إلا باذن الله لكل أجل كتاب * يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب) فان البشر في عهد النبوة المحمدية ، أخذوا يدركون قيمة المعجزات الحسية ، وأنها لا علاقة بينها وبين دعوى النبوة ، وأنها لا يسهل تمييزها عن غيرها من أعمال السحرة والمشعوذين ، والصناع الماهرين ، وأنها إن أقنعت تلك العقول القديمة وأرهبت تلك النفوس وهي صغيرة وحملتها على الايمان فانها أصبحت لا تفني العقل فتيلا ولا تزيد الأمور إلا تعقيدا ، وأن الدليل

إن لم يكن له من العقل أ كبر نصير فهو أضعف ضعيف، ومن كان يطلب من النبي صلى الله عليه وسلم تلك المعجزات فما كان يريد بها إلا الاعنات والاعجاز ، والسخرية والاستهزاء ، وإلا فإن أمامه من البراهين والآيات ما يشفي علة النفوس ويروي غلة العقول (أولم يكفهم انا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون) وأما ما أظهره الله تعالى على يديه من المعجزات الحسية فلم يكن يراد به إلا إلحام المعاندين المستهزئين ، والزيادة في تثبيت ضعفاء المهتدين . وقد كان جل اعتماد النبي صلى الله عليه وسلم في إثبات دعوته على القرآن وحده . كما يتضح ذلك لمن تدبر آياته . فانه هو المعجزة التي تلتئم مع الدعوة، وتعلو بالعقل إلى مستوى العلم والفهم ، وتناسب حال الاجيال من بعده فلا تقف عقبة في سبيل نظرياتهم وتفكيرهم ، ومعلوماتهم واختراعاتهم ، ولا تلتبس عليهم بحيل الدجالين ، وتدليس المحتالين ، ولا بكذب القصاصين وافك الراوين ، وتخييل الواهمين واختراع الكاذبين ، بل تساعدهم على البحث وتحضهم على التفكير والنقد والتمحيص والاستدلال والاستنتاج

فبعثة محمد صلى الله عليه وسلم ختم عصر العجائب والغرائب وبدأ عصر العلم والعقل فهو الحد بين العصرين فلذا كانت معجزاته تشمل هذا وذاك وكان أجلها وأكبرها والباقي منها وهو القرآن مناسبا لزمنه عليه السلام ولكل ما أتى ويأتي بعده من الأزمان فلا يناسبها غيره

وكما ختم عصر المعجزات ، وتمت النبوات ، كذلك أغلق باب الكهانة فكأن الله تعالى في العصر الأول والبشر في طور الطفولية كان يتجلى لأبصارهم وفي العصر الثاني وهم في طور الرجولية صار يتجلى لبصائرهم أكثر مما يتجلى لأبصارهم . فان بصائرهم في العصر الأول كانت ضعيفة لصغرها فلا تتحمل أن تراه فلذا كان يظهر لأبصارهم بأنبيائه ورسله الكثيرين وآياته ومعجزاته وبعض مخلوقاته كالجن الذين كانوا يسترقون السمع من الملأ الأعلى فيخبرون به بعض البشر وذلك لأن الأب مع أطفاله يكثر التكلم معهم وتأديبهم وتهذيبهم وترغيبهم وترهيبهم ومكافأتهم بالماديات أو معاقبتهم على حسب ما يبدو منهم فاذا صاروا رجالا كف عن ذلك

وا كتفى بابداء بعض تعاليمه العامة و إرشاداته المكتسبة من طول التجربة والاختبار وتركهم يستعملون عقولهم فيما يرونه صالحا لهم كذلك فعل الله تعالى (وله المثل الاعلى) بعد أن بلغ الانسان رشده أعطاه الشريعة العامة والقواعد الثابتة وأباح له التصرف في الامور بحسب ما يرشده إليه عقله فبعد أن كان يوحي للأمم السابقة كبني اسرائيل مثلا في كل جزئية من جزئيات الامور اكتفى الآن بما في القرآن الشريف من القواعد العامة والاصول الثابتة فلها مع ما يوحيه إلينا العقل كافية لهدايتنا في جميع الامور بعد أن بلغنا رشدنا

لذلك أغلق الله تعالى باب الوحي والمعجزات والكهانة وأخبرنا بذلك كله صريحا في الكتاب العزيز فلم يبق للمحتال علينا حيلة ولا لمشعوذ أدنى وسيلة و بذلك خلص العقل البشري من الأوهام والخرافات والترهات ، وأصبح طريق العلم أمامه واضحا لا يحجبه عنه حجب ولا يقف أمامه فيه واقف ولكي لا يبقى هناك ثمة في نفس أحد من المؤمنين يصل إليه منها شيطان من الشياطين نص الكتاب العزيز نصا صريحا لا يقبل التأويل على أن الغيب علمه عند الله لا يعلمه إلا هو وأن الأمور كلها بيد الله يصرفها كما يشاء لا يراعي فيها محاملة أحد من عباده فقال مخاطبا لرسوله صلى الله عليه وسلم (قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير ومامسني السوء ، إن أنا إلا نذير و بشير لقوم يؤمنون) ومثل ذلك في القرآن كثير يصعب ان يستقصى في مثل هذه المقالة

يقول واهم إذا كان الغيب لا يعلمه أحد إلا الله فما بال التنويم المغنطيسي واستحضار الارواح والأحلام الصادقة تكشف كثيراً من الغيب وكانت الكهانة تكشف كثيرا منه من قبل ؟

فاعلم أن الشخص في حالة التنويم المغنطيسي لا يمكنه أن يعلم شيئا مما لم يوجد فلا يمكنه أن يطلع على الغيب أي لا يمكنه أن يعرف شيئاً مما لم يكن له وجود وهو في تلك الحالة المخصوصة وغاية الأمر أنه لا يحجبه عن رؤيا بعض الموجودات حاجب لصفاء روحه عن كدورة المادة إذ ذاك ومن هنا تتسع دائرة معلوماته عن بعض

الموجودات فيمكنه أن يخبر بالقياس أو الاستنتاج مما علم عن بعض أشياء قبل وقوعها كالامراض التي ستصيبه مثلا بعد وقوفه على حالته الجسمية كما يخبر الطبيب عن بعض الاشياء المرضية قبل حصولها لمعرفته الأمراض واسبابها ومسبباتها وأعراضها وكما يخبر الفلكي عن الكسوف والخسوف قبل وقوعهما أي إن الشيء إذا لم يكن موجودا فلا يمكن العلم بوقوعه إلا قياسا أو استنتاجا او استنباطا من موجود و إلا فالغيب (وهو ماغاب عن الانسان لعدم وجوده مطلقا أو لعدم وجود ما يستدل به عليه) علمه عند الله لا يعلمه إلا هو ولا يعلمه أحد من عباده إلا إذا أطلع هو (جل شأنه) أحدا على شيء منه فيخبر به ويفشو بين الناس كما أطلع الله رسله (الملائكة والانبياء) على بعض الغيب فعلموه وعلمه الناس منهم وكما كان يعلم بعض ذلك بعض الجن قبل إبطال الكهانة واستراق السمع من الملأ الأعلى فيخبرون به بعض البشر فيخيل للناس أنهم يعلمون الغيب والحقيقة أنهم أخبروا بما أخبروا به لصلة بينهم و بين عالم الأرواح و إن كانوا يكذبون في كثير مما أخبروا به . وما الآن في مسألة استحضار الأرواح دليل قاطع حسي على إمكان اتصال البشر (ومنهم الكهنة) بالعوالم الاخرى الروحية (ومنهم الملائكة والشياطين) و بذلك يمكن البشر الاطلاع على بعض المغيبات من هذا الطريق كما يمكنهم أن يطلعوا على بعضه في طريق الاحلام الصادقة، فانها من بقايا الوحي إلى بعض النفوس الصافية، وفيها يُري الله تعالى بعض عباده شيئا مما سيكون بإرادته كما كان يوحي إلى الانبياء من قبل وليس للبشر في معرفة شيء من ذلك اختيار بل هو شيء يفعله الله متى شاء وكيف شاء

أما علم أحد من تلقاء ذاته (أي بدون وحي أو سماع من غيره) بغيب حقيقي (أي لا يستدل عليه من موجود) فهو محال إلا على الله الفاعل المختار الذي يفعل ما يشاء متى شاء وكما شاء ودعوى معرفة أحد غيره الغيب دعوى باطلة كاذبة ولا يمكن لأحد الجزم بوقوع شيء من الغيب باليقين وما يقع منه مطابقا لخبر لا يكون إلا اتفاقا مالم يكن موحى به

فالغيب المنفي علمه في القرآن الشريف هو هذا الذي ذكرناه أي الغيب الحقيقي لا مطلق الغيب . فان الغيب أمر اعتباري فما غاب عنك لا يغيب عن

غيرك وما لم تعرفه لجهلك بشيء مما يعرفه غيرك من علم هذا الشيء

أما مسألة إنكار المعجزات بسبب مخالفتها لما اعتاده الناس فهي من السخافة بمكان . نعم إن سنن الله تعالى في هذا العالم لا تتبدل ولا تتغير كما نطق به القرآن الشريف في عدة مواضع منه ولكن خرق العادة ليس خرقا للسنة فان من سنة الله إيجاد الشواذ في كثير من الاشياء المعتادة إذا اقتضت حكمته ذلك . ولذلك نشاهد في عالمي الحيوان والنبات من الشواذ التي يسمونها (الفلتات الطبيعية) ما يصعب حصره وما قال أحد بأن هذه الشواذ خارقة لسنن الكون ونواميس الوجود وإن كانت خارقة للمعتاد . ولو سألتهم عن حكمة وجودها أو عن كيفية خلقتها لعجزوا عن الجواب . أما نحن فنقول إن الحكمة في وجود مثل هذه الاشياء الشاذة هي أن الله تعالى يريد أن يرينا شيئا من ملغ قدرته وعظمته وأن قدرته تعالى لا تقف عند الحد الذي عهدناه بل هي أوسع من أن تحيط بها مداركنا وأما كيفية خلق هذه الشواذ والعلل المباشرة لتوليدها فانا نجهلها الآن كال الجهل وربما علمنا عنها شيئا في المستقبل . كذلك نحن نعلم حكمة إيجاد الله تعالى للمعجزات وهي أنها تخيف الناس وتلجئهم إلى الاحتماء بالانبياء فيتعلقون بهم ويؤمنون لهم ويتبعونهم فتصلح حالهم . وتنفرهم من أعمال السحرة والمشعوذين وتبعدهم عنهم . ولكننا إلى الآن لا يمكننا أن نفهم كيفية إيجادها ولا الأسباب التي تنشئها وغاية ما نقول إنه هكذا أوجدتها القدرة الإلهية كما يقول الطبيعي عن الشواذ هكذا وجدت وإن كان عقله لا يدرك كيفية وجودها .

قد يقول قائل إن هناك فرقا عظيما بين المعجزات وبين هذه الشواذ الطبيعية التي اتخذتها مثالا لها فالمعجزات لا يشاهدها أحد الآن بخلاف الشواذ فانها تشاهد كل يوم فان كانت المعجزات حقيقية وجارية على سنن الكون فلم انقطعت الآن ؟؟ ونقول أما انقطاع المعجزات فهو لانقضاء زمن الأنبياء ولو وجد داع لها الآن لوجدت كما أن كثيرا من الشواذ في العالم الطبيعي قد انقرضت الآن لانقراض الحيوانات والنباتات التي كانت تظهر فيها . فكأن سنة الله تعالى في هذا العالم هي أنه إذا وجدت الحكمة لظهور المعجزات تظهر ،

ولو وجدت بعض الانواع من الحيوانات والنباتات البائدة لوجد فيها من الشواذ المخصوصة في خلقتها وكيفية معيشتها مايعدهشذا الآن ويعد من العجائب والغرائب. وقد كانت الاحياء في مبدأ أمرهاتتولد من الجادات مباشرة وهو ما يسمونه (التولد الذاتي) وقامت البراهين القطعية على ذلك والآن لا يوجد شيء منه مطلقا فلم لاينكره المنكرون لانقضاء عهده الآن كانقضى زمن المعجزات ؟؟ إن هذا لامر عجاب !!

بقيت كلمة واحدة تتمة لهذا الموضوع وهي أننا قلنا فيما سبق ماممناه إن الله تعالى كان يؤدب الأمم السابقة ببعض أنواع من العقوبات المادية كالخسف والمسخ والقحط فهل ما يقع الآن بالأمم من ذلك هو جزاء لهم على أعمالهم أم لا ؟

الجواب — إن ما يفهم من القرآن الشريف هوأن ما يقع بالأمم من المصائب المهلكة هوعقوبة لهم على أعمالهم (وما كان ربك مهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون) وكذلك ما يصيب الاشخاص من المصائب هو في اغلب جزاء لهم على ذنب ارتكبوه (إن ربك لبالمرصاد) (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم) ولكن لا يفهم من ذلك أن جميع المصائب هي بسبب ما كسبه الانسان بل إن ذلك بحسب الغالب . فان الآية لا تدل على التعميم وإذا فهم منها العموم فانه يخصص بمثل قوله تعالى (ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات) الآية . أي إن بعض المصائب قد يراد بها الاختبار أو غيره لا العقوبة كما أن قوله تعالى (وأوتيت من كل شيء) لا يراد به ظاهره مع أنه أصرح في إفادة الكلية من قوله تعالى (وما أصابكم من مصيبة) الآية. فالله تعالى لم يترك البشر في هذا الطور (طور العلم والعقل) بدون مراقبة ومجازاتهم على أعمالهم كلا !! بل هو أرحم من الأب الحكيم لا يترك أبناءه إذا كبروا بدون تأديب لهم إذا كثر اجرامهم بل يتداخل في أمورهم و يعاقبهم على ما يجرمون . فلا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون

(المنار) اتبع الدكتور فيما ذكر من ترقي الدين رسالة التوحيد وهذا هو الاصل في نسخ الشرائع الذي يحتج به عليه الشيخ صالح اليافعي في الرسالة التي بعد هذه وهو لا ينكره . ويرد عليه ان الخوارق لم تنقطع ولكنها لم تعد حجة للدين في العصر كالعصور الأولى

باب المراسلة والمناظرة

﴿ ردّ الشبهات على النسخ وكون السنة من الدين (*) ﴾

١

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور انفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهدي الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهدأن لا آله الاالله واشهدأن محمدا عبده ورسوله (ص) وانه بلغ الرسالة وادى الأمانة صلى الله عليه وعلى آله واصحابه واتباعه الى يوم الدين

أما بعد فاني قد وقفت على الكلمات التي كتبها في الرد عليّ حضرة العلامة والمفضال الفهامة الدكتور محمد توفيق صدقي وفقنا الله وإياه للهداية والتوفيق آمين وحيث إني رأيته لم يأت بدليل جديد وانما كرر كتابة ما قد بينت للقارئين فساده في رسالتي السابقة أردت اختيار السكوت وان أفوض الى قراء المنار وغيرهم من علماء الاسلام تولي ترجيح أحد القولين والحكم بتخطئة أحد الخصمين بعد الفحص عن أدلة الطرفين. ولكن ألح علي في كتابة جواب الجواب من يعز علي من أهل البيت الاطهار نخبة الاخيار سيدي احمد بن حسين العطاس باعلوي سلمه الله وحفظه وكذلك كثير من حزب الله المفلحين المصلحين الصادقين محبي المنار الأغر فاخترت الله واستعنته على كتابة هذه الجملة المختصرة لأنه اخانا الفاضل على أن ما كتبه في

(*) جاءتنا هذه الرسالة من الشيخ صالح اليافعي يرد بها على الدكتور محمدتوفيق صدقي ثانية فأثبتناها على طولها ليأخذ الموضوع حقه من البحث فانه من أهم المسائل الدينية في هذا العصر

هذا الرد هو نفس ما كتبه سابقا مما قد بينا وفقه الحد خطأه وايضا هو لم يبطل شيئا مما كتبناه في رده لا بنص نقلي ولا بدليل عقلي

واما ما ذكر من شبهات غير المسلمين فهي مما لا قيمة لها اذا عرضها الفاحصون على معيار التحقيق وغاية محصلها أن تكون من اضعف الشبهات التي ربما تعرض وتعلق بخيالات غير الواقفين على حقيقة دين الاسلام — وها أنا ذا أقدم للواقفين بيان قيمة كل شبهة اوردها العلامة الممدوح عنهم ووجه دلالتها ثم اتبع ذلك بردها وألتمس من حضرة سيدنا شيخ الاسلام ومرشد الانام مولانا السيد محمد رشيد رضا منشيء المنار أن يصلح ما فيها من القصور والخطل وان ينبه أحدنا على زلته ، ويدله على محل عثرته، ولولا أن بذل النصيحة في الدين واجب لم اكتب ولا حرفا واحدا ولكن امتثالا لقوله صلى الله عليه وسلم «تناصحوا في العلم فان خيانة أحدكم في علمه أشد من خيانته في ماله وان الله مسائلكم» ولنشرع في المقصود بعون الجواد المعبود فنقول:

قال العلامة الفاضل سلمه الله ووفقنا وإياه للصواب « الكلمة الاولى في تقرير بعض شبهات غير المسلمين على مسألة النسخ في القرآن» الى آخر ما نقل عنهم وحاصله أنهم اعترضوا على صحة دين الاسلام ورسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بوجود النسخ الذي يسلمه المسلمون في القرآن لانه أي النسخ لا يكون الا اذا كان المنسوخ ناقصا ومعيبا إما في مغزاه أي غاياته أو معناه أي مدلول لفظه أو بلاغته المخل باعجازه أو ان الحكم لا يرضاه الناس أو أنه لا ينفعهم أو انه قد يضر بمصلحتهم

فحصل ما ذكروه ان النسخ لا يكون الا لذلك وكأنهم يريدون ان صدور ذلك من الرب واجب الوجود محال واستنتجوا من ذلك استحالة أن يكون دين الاسلام منزلا من الرب أي لوقوع ذلك فيه واعتذروا عن قبول العقلاء لذلك بأن سببه كمال محمد (ص) في الدهاء والتحيل بحيث صار يلعب بعقول اصحابه وذكر عنهم ما ملخصه وحاصله ان محمدا (ص) لم يتم له ما أراد من التشريع الا بعد اصلاح ما وقع في دينه من العيب والنقص وابدال ما انتقده عليه المنتقدون أو عارضه المعارضون أو عرف انه يكون كذلك ولو بعد حين ولذلك تمكن بدهائه الى اخفاء عيبه وعيب دينه بتجويز وترويج مسئلة النسخ في قرآنه ونقل عنهم انهم قالوا وقد ضاع بسبب ذلك ما أتى به

من القرآن آيات كثيرة جاءذكرها في أحاديث المسلمين وكأنهم يريدون بذلك انه كما انه يستحيل بزعمهم ان يكون القرآن منزلا من الله فهو أيضا غير محفوظ ولم ينقل الينا كله. ودعوى المسلمين ان ذلك مما نسخ الله لفظه تحكم غير مقبول، اذلم يقدر المسلمون على تعليل ذلك بعلة معقولة — ونقل عنهم أيضا انهم يزعمون ان ما بقي من القرآن في أحكامه شطط وان عباراته متناقضة مختلفة — وذكر عنهم اعتراضا على بعض أجوبة المسلمين التي ذكرناها في رسالتنا السابقة لتسويغ نسخ لفظ القرآن حيث قلنا ما أدى وظيفته لا يلزم بقاؤه فنقل عنهم في معارضة ذلك ان القرآن مشتمل على مسائل خاصة بمحمد (ص) وأهل بيته ولا فائدة منها لأحد سواه قال فاذا صح عند المسلمين نسخ الفاظ الآيات التي أدت وظيفتها وانقضى زمنها فلماذا لم تنسخ ألفاظ مثل هذه الآيات الواردة في حالات خاصة وفي وقائع خاصة وقد أدت وظيفتها وانقضى زمنها وما حكمة آية الرجم مثلا مع بقاء حكمها في شريعة المسلمين ؟! انتهى

أقول والكلام على ما أورده عنهم من وجوه

(احدها) ان قول ان بعض هذه الشبهات كقولهم وما بقي من القرآن بعد هذا التصحيح والتنقيح نجد شططا في كثير من أحكامه فضلا عما في عباراته من المتناقضات والاختلافات الى آخره لا ترد علينا ولا على من يقول ان القرآن الموجود فيه ناسخ ومنسوخ وانما ترد على خصوص مذهب الدكتور وهو لا ينفصل عن هذه الإيرادات ولا يستقيم مذهبه الا اذا سلك مسلك التأويل المناقض لظاهر الدلالات في هذه المواضع ، والتأويل اذا صار لا يصح الا بحيث يكون المعنى المؤول اليه انما يدل عليه بالفاظ غير ما عبر الله به عنه فهو يكون لامحالة من باب التبديل والتحريف الذين ذم الله أهلها ونهى عنهما وكما ان مثل هذا التأويل مردود عند أهل الحق من المسلمين فغير المسلمين أيضا لا يقتنعون به وهو أعظم منفر لهم عن الاسلام ؛ لجواز ان يعتقدوا ان ذلك إصلاح خلل وتكميل نقص في القرآن والدين — فاعتراضاتهم السابقة على النسخ هي واردة على مثل هذا التأويل وقبولهم تكذيب ما نقله المسلمون فيما تقدم ضرب من المحال ؛

اما نحن القائلون بجواز النسخ في الأديان ووقوعه في القرآن فلا ترد علينا هذه

الشبهات لا في الدين ولا في خصوص القرآن ، وانما يلزمنا الاستدلال على جواز النسخ عقلا ويحسن منا إذا بينا حسنه وحكمته في المورد المعين ومن قصر عن إدراك ذلك فلا يضره ذلك ولا يضر الدين أيضا — لان جهلنا بالشيء لا يستلزم عدمه في الواقع — وانما يضر لو كان بعض ما علمنا انه من الدين مخالفا للحقيقة في نفس الأمر وليس في الاسلام شيء من ذلك — وفضلا عن الايرادات والشبهات الواردة على دين أو مذهب مؤلف من هذه التأويلات المنفرات لمن يريد انتحاله التي لو أوردنا إيرادها لطال بها الكلام فان مدلول النسخ الذي يمكن ان ينكر وقوعه المنازعون أو يورد الشبهات عليه الزائغون والتأويل الذي يؤول القرآن اليه حضرة الفاضل الدكتور متحد لا فرق بينهما الا أن هذا الاخير يكون من الرب الذي يفعل ويأمر بالحكمة والعدل فليتأمل الناظرون. ولينصفنا اخونا الدكتور الفاضل — ثم ليدلنا على مورد شبهات غير المسلمين الصحيح — أهو على من يقول بوقوع النسخ في القرآن للمصلحة الراجحة والحكمة البالغة أم على من يعترف بصحة شبهاتهم ثم يعدل الى التأويل المذموم الذي لم يأذن الله به ولادل عليه نبيه صلى الله عليه وسلم

وليعلم القراء الكرام ان ما اعترض به علينا في نسخ الاحكام غير المسلمين هو وان كان فاسدا كما سيأتي إلا انه وارد عليه أيضا لانه قائل بوقوع ذلك في السنة بل السنة القولية منسوخة عنده كما صرح بذلك مرات وناسخ ذلك احتمال تقدير سبب من جملة احتمالات لحديث أبي سعيد (رض) المختلف في رفعه ووقفه المعارض بما هو أصح وأصرح منه ومتأخر عنه كل ذلك مع ترك العلة والسبب المنصوص في ذلك كما سيأتي بيان ذلك في الكلام على وجوب العمل بالسنن القولية النبوية فانتظره —

فاذا عرفت ذلك لم يبق مما ذكر من شبهات غير المسلمين ما يخصنا الجواب عنه دونه إلا ما يورد على نسخ اللفظ فقط

(الوجه الثاني) ان مثل هذه الشبهات فاسدة في نفسها لا يصح ان يوردها الا من كان لا يجوز النسخ في الشرائع مطلقا أي ولا يجوز نسخ شريعة نبي متأخر

لشريعة نبي متقدم عنه مطلقا حتى ولا من بعض الوجوه في حكم من الاحكام لان من جوز ذلك في شيء مخصوص لزمه تجويزه فيما سواه اذا وجدت العلة أو نظيرها و بالاولى فيما هي به أولى . فاذا جاز نسخ شريعة نبي لشريعة نبي قبله فمن باب أولى جواز نسخ بعض شريعة لبعضها الآخر . لأن نسخ دين النبي المتقدم وشريعته الثابتة المقررة عند أمته وأتباعه أشق وأبعد من كل بعيد عن معتقداتهم الموروثة لاسيما اذا كان قد تدين بها أنبياء كثيرون لان ماجاء به العدد الكثير قد تستبعد بعض العقول نسخه بما جاء به الواحد — فما يسلمه الدكتور الفاضل من النسخ هو أولى بايراد الشبهات مما ينكره — ولما كان نسخ بعض الشريعة لبعضها الآخر يكون منوطا بمناسبة الاحكام لافراد معتنقيها المعينين — كان كلما كثروا تتجدد الاحكام وتعدل على الحد الوسط المشترك بين أكثر مجموع الامة ليكون الدين شرعا عامة فلهذا ونحوه كان النسخ في الشريعة الواحدة لطفا حسيا وعليه فالنسخ في شريعة أي نبي من الانبياء حين حياته أبعد عن اعتراض المعترضين عليه منه فيها بعد ثبوتها فثبت ان حكم نسخ شريعة لشريعة أو بعضها لبعضها سيان مطلقا ان لم نقل جواز ذلك في الاخير أظهر والله أعلم

ثم نقول لمن لا يجوز النسخ مطلقا انا لا نسلم ان النسخ لا يكون الا لنقص أو عيب في المنسوخ بحيث يستلزم نقص الشارع ومعاذ الله من ذلك لانا نقول إن النسخ في الأديان لازم ومساوق لترقي نوع الانسان فلنا ترق ديني وترق طبيعي ولا يكون الاول الا لحكمة ومصلحة راجحة ؛ فالحكم الثاني الناسخ يوجد عند ما تكون الامة مستعدة له وتخطو إلى التقدم من المقام الأول الذي يحسن ان تنتهي مدة الحكم المنسوخ بجوازها له — لان ما يناسب البشر في أول نشأتهم قد لا يناسبهم بل قد يجب ان لا يكلفوه في أوان كمالهم وما كانت الأمم السالفة محجورة عنه لمصلحة سد الذريعة قد يجب في هذه الازمان رفع حجرهم عنه إذ لو كلف الجهال ونحوهم ما يتسع له العلماء لزم وضع الشيء في غير موضعه المناسب له وهـذا من لازمه قلب الحقائق ولو حجر على العقلاء البحث في الحقائق المستعدين لادراكها

وتقديرها قدرها لكان في ذلك الظلم المنزه ربنا عنه ولو كلف الضعيف عقلا أو جسما لا يطيقه هو أو ما لا يطيقه إلا من هو أكمل منه لكان كذلك واذا استحال كل ذلك فلا شك ان حالات الامم السالفة واستعداداتهم تخالف حالات الأمم واستعداداتهم اليوم فتكليف بني الانسان اليوم بشرائع أولئك أو العكس اقل حالاته ان يكون تكليفا بما لا يناسب النشوء الفطري والترقي التعليمي وحينئذ لو كان ذلك تكون احكام الدين من باب تكليف ما لا يطاق أو من باب الحجر على المستعد عما هو مستعد له فيكون الدين سدا دون العلوم والمعارف. ولو أطلق للاولين الحرية واذن لهم بولوج ابواب هي مجهولة لديهم او لم يستعدوا لمعرفتها لكان ذكر تغريرا لهم وتكليفا لما لا يطيقونه وما كان كذلك فالله لا يرضى بقاءه بل لا بد من تغيير وتبديل فيه مساوقين لترقي معارف البشر وهذا هو حقيقة النسخ وما ذكرناه هو سببه وحكمته في الشرائع فالنسخ لا يكون لعيب ونقص في المنسوخ ولا لجهل الشارع تعالى عما يقول الظالمون بل يكون لاستعداد المكلفين لما هو خير لهم في الحال أو الاستقبال ونحو ذلك مما لا يخلو عن زيادة الخيرية التي ذكر الله انه لا بد منها في النسخ فالنسخ يكون قبل حصول التفاوت في مناسبة المنسوخ لحالة المكلفين كما ذكرنا ذلك في رسالتنا السابقة

فثبت بما ذكرناه وبما لم نذكره من الحجج البينة أن النسخ في الشرائع لازم ومستحسن عقلا وكذلك هو واقع فعلا وثبت ذلك نقلا فان كثيرا من شرائع الانبياء قد نسخت واندثرت وأنسيت بشرائع انبياء بعدهم وذلك ظاهر لا نطيل بذكره وان أبى المعترضون لزمهم فوق ما قدمناه من المحالات ان تكون شرائع الله المحكمة الحتم على البشر قبولها وامتثالها والايمان بها متضاربة متناقضة، وذلك بأن يجب على الشخص الواحد المؤمن بجميعها فعل الشيء الواحد وتركه في آن واحد وهو محال من الله وعلى العباد

والاديان والشرائع قبل الاسلام وقع فيها كثير من الخلط والقلب ـ أما التكاليف والصعوبات الشاقة والكلمات الموهمة خلاف الواقع والحكايات المستبعدة في كتبهم الدينية فما أوجب على العقلاء منهم ومن غيرهم الجزم بان تلك الكتب

قد وقع فيها من التحريف والتبديل ما أوجب أن يحكم بعدم الوثوق بها وما كان كذلك فمن اللازم ان لا يبقى دينا للبشر الى آخر الدهر — ولذا ونحوه قال نبينا صلى الله عليه وسلم « لا تصدقوهم ولا تكذبوهم » الحديث أفليس من اللازم ان يبدل الله بهذه الشرائع شريعة عادلة محكمة محفوظة عن تغيير المبدلين وعبث العابثين ؟ ان تلك الكتب وشرائعها لا تصح وهي بالحالة التي عرفت حجة لله على عباده فأرسل الله محمدا صلى الله عليه وسلم الى الناس كافة وأيده بالمعجزات الباهرات والآيات البينات فما من دليل يستدل به على رسالة رسول من الانبياء والرسل السابقين الا وقد ايد نبينا (ص) بمثله وبأظهر واوضح منه وصح لدينا نقلا لا يعتريه شك بأسانيد صحيحة متواترة متصلة . ولو لا شهادة الله في كتابه القرآن وشهادة رسوله محمد (ص) في خطابه بصحة معجزات الرسل السابقين لم تبلغ تلك النقول والقصص فيها الى مرتبة الظن فضلا عن اليقين لأنها لو وزنت بميزان التحقيق في شرائط النقل لم يتحصل منها ما يصح اعتباره مسندا متصلا عن النقلة المعروفين بشروط الرواية

وبناء على ما ذكرناه نقول اذا كان وجود النسخ في تلك الشرائع غير قادح فيها لكونها قد ايدت بالمعجزات — فكذا وجود النسخ في الاسلام أو في القرآن لا يصح أن يكون قادحا في صحته عن الله تعالى لما عرفت . وايضا فمن يقدح بذلك في دين الاسلام ورسالة محمد (ص) يكون في الحقيقة قادحا في صحة دين من تقدمه من الانبياء عليهم السلام من حيث يعلم اولا يعلم رضي ام أبي

ونقول في الجواب أيضا (الوجه الرابع) ما يدري هؤلاء المشككين ان النسخ الواقع في شريعة الاسلام أو في القرآن قد كان سببه تلك التهم التي أوردوها ؟ فهل عندهم نقل يؤيدها ويصححها أو دلالة عقل تعينت على ما ذكروه أم هو احتمال فرضوه وأوهام توهموها أو مماراة أو معاندة انتجتها الاحقاد الموروثة ؟ وهل هذا الاحتمال متعين فالدليل عليه وهل يصح ان يقوم مقامه احتمال غيره ينقض مزعومكم أم لا ؟ وحينئذ لا يصح ان يدفع الثابت ويرد باحتمال من احتمالات هذا حالها واذا كان النسخ في التشريع والاديان لازما عقلا وواقعا حتما يكون مستحسنا

كذلك نقلا وكانت رسالة نبينا (ص) ثابتة بالحجج اليقينية بأصح مايمكن ان تثبت بها رسالة أي رسول — فتبين ذلك الاحتمال والوهم وحاله ماعرفت مع وجود مايدفعه ويكذبه باطل لا يجوز لعاقل ان يلتفت اليه أو يمتري بايراده

أما قولهم ان محمدا (ص) قد بلغ من الدهاء أن صار يلعب بعقول اصحابه فجعلهم يقبلون منه مالا يقبل من غيره. فالجواب عنه ان محمدا (ص) بأبي هو وأمي لم يكن من أهل الحيل والدهاء وانما كان من الانبياء الاتقياء وقد عرف بالصدق والوفاء حتى صار ذلك وصفه الثابت حتى عند اعدائه أما أصحابه فقد عرفوا صدقه وصحة دينه بالدلائل الصحيحة الثابتة وهم لم يصدقوه فيما جاء من النسخ وغيره لضعف في عقولهم وهوما جاء بما في دينه من النسخ بدعا مما جاء به المرسلون قبله واذا كان كذلك فمن البهت ان يقال ان اصحابه صاروا يصدقون ويقبلون منه مالا يقبل من غيره لان نقول هو (ص) لم يأت الا بما يأتي به المرسلون ولم يقبل عنه أصحابه الا ماقبل عن المرسلين والا انقلب الامر وكان النسخ في الشرائع محالا وقدمت فساده عقلا وشرعا

فيما ذكرناه يعرف الناظر فساد تلك الشبهة وانها في غير محلها وانهـا لايتعين ورودها على شريعة دون غيرها من الشرائع — بل لو صح ايرادها على بعض الشرائع السابقة لركاكة ماعرف من تلك الشرائع وعدم صلاحيته لتدين جميع البشر الى آخر الأبد وللوهن في نقلها وضبطها — فان صحة توجيهها على الاسلام ضرب من المحال ونقص عن الكمال لما في القرآن من الدلائل والبراهين على صحة كل احكامه وشرائعه وما كان فيه من منسوخ وناسخ موجود فقد ذكر سببه وحكمته بالصراحة تارة و بالتضمن والالتزام أخرى يعرف ذلك بطرق يعرفها من تلقى فهمه عمن أنزل عليه (ص) فمنها ان يذكر الحكم الاول مقرونا بسببه أو بفائدته وغايته أو غير ذلك مما يصح ان تدرك به علة هذا الحكم فاذا نسخه بأن انزل بعده حكما يناقضه بوجه من الوجوه فهو يذكر سببه أو غايته أو غير ذلك كذلك مما نعرف به الحكمة في النسخ وهذا بخلاف الشرائع السالفة فانها وان كان فيها أشياء من الاستدلال الصحيح الا انه لايوجد في كل شيء ومع ذلك هو لم يبلغ بالاستدلال فيها الى المراتب الكاملة في التحقيق كما هي في القرآن ودين الاسلام ومع ذلك كله نحن لانحمل ذلك على

تقص فيها كما يقول هؤلاء المعترضون وانما نقول إن تلك قد سبقت فيها الشرائع على طريقة تناسب عقول البشر واستعدادهم اذ ذاك وهي غير مؤيدة فناسب ان تكون كذلك حتى يترقى الانسان الى أعلا مقاماته مما تطوح به اليه خلقته وفطرته المخصوصة وحينئذ يناسب ان يشرع له دين بالع في التحقيق اقصى غاياته فكان الامر كذلك بدين محمد (ص) وشرعه (لها بقية)

آثار علمية ادبية

التربية والامهات

أنشدنا الشيخ معروف الرصافي شاعر العراق الاجتماعي لنفسه ببيروت في المحرم سنة ١٣٢٧

هي الأخلاق تنبت كالنبات	إذا سقيت بماء المكرمات
تقوم إذا تعهدها المربي	على ساق الفضيلة مثمرات
وتسمو للمكارم ماتساق	كما اتسقت أنابيب القناة
وتنعش من صميم المجدروحا	بأزهار لها متضوعات
ولم أر للخلائق من محل	يهذبها كحضن الامهات
فحضن الأم مدرسة تسامت	بتربية البنين أو البنات
وأخلاق الوليد تقاس حسنا	بأخلاق النساء الوالدات
وليس ربيب عالية المزايا	كمثل ربيب سافلة الصفات
وليس النبت ينبت في جنان	كمثل النبت ينبت في الفلاة

* * *

فيا صدر الفتاة رحبت صدرا	فأنت مقر أسنى العاطفات
نراك إذا ضممت الطفل لوحا	يفوق جميع الواح الحياة
إذا استند الوليد عليك لاحت	تصاوير الحنان مصورات

لأخلاق الصبي بك انعكاس … كما انعكس الخيال على المراة

وما ضربات قلبك غير درس … لتلقين الخصال الفاضلات

فأول درس تهذيب السجايا … يكون عليك يا صدر الفتاة

فكيف نظن بالابناء خيرا … إذا نشأوا بحضن الجاهلات

وهل يرجى لاطفال كمال … إذا ارتضعوا ثديّ الناقصات

فما للأمهات جهلن حتى … أتين بكل طياش الحصاة

حنونٌ على الرضيع بغير علم … فضاع حنوّ تلك المرضعات

• • •

أ أمَّ المؤمنين اليك نشكو … مصيبتنا بجهل المؤمنات

فتلك مصيبة يا أمُّ منها … «تكاد تغص [illegible]افرات»

تخذنا بعدك العادات دينا … فأشقى المسلمون المسلمات

فقد سلكوا بهن سبيل خسر … وصدوهن عن سبل الحياة

بحيث لزمن قعر البيت حتى … نزلن به بمنزلة الأداة

وعدوهن أضعف من ذباب … بلا جنح وأهون من شذاة

وقالوا شرعة الاسلام تقضي … بتفضيل الذين على اللواتي

وقالوا ان معنى العلم شيء … تضيق به صدور الغانيات

وقالوا الجاهلات أعف نفسا … عن الفحشا من المتعلمات

لقد كذبوا على الاسلام كذبا … تزول الشم منه مزلزلات

أليس العلم في الاسلام فرضا … على أبنائه وعلى البنات

وكانت أمنا في العلم بحرا … تحل لسائليها المشكلات

وعلمها النبي أجل علم … فكانت من أجل العالمات

لذا قال ارجعوا أبدا اليها … بثلثي دينكم ذي البينات

وكان العلم تلقينا فأمسى … يحصل بالكتاب المدرسات

وبالتقرير من كتب ضخام … وبالقلم الممد من الدواة

ألم تر في الحسان الغيد قبلا … أوانس كاتبات شاعرات

وقد كانت نساء القوم قدما   يرحن الى الحروب مع الغزاة
يكن لهم على الاعداء عونا   و يضمدن الجروح الداميات
وكم منهن من اسرت وذاقت   عذاب الهون في اسر العداة

***

فاذا اليوم ضر لو اقتفنا   الى اسلافنا بعض الثقات
فهم ساروا بانهج هدى وسرنا   بمنهاج التفرق والشتات
نرى جهل الفتاة لها عفافا   كأن الجهل حصن للفتاة
ونحتقر الحلائل لا لجرم   فنؤذيهن أنواع الاذاة
ونلزمهن قعر البيت قهرا   ونحسبهن فيه من الهنات
لئن وأدوا البنات فقد قبرنا   جميع نسائنا قبل الممات
حجبناهن عن طلب المعالي   فعشن بجهلهن مهتكات
ولو عدمت طباع القوم لؤما   لما غدت النساء محجبات
وتهذيب الرجال أجل شرط   لجعل نسائهم متهذبات
وما ضر العفيفة كشف وجه   بدا بين الاعفاء الاباة
فدى لخلائق الاعراب نفسي   وان وصفوا لدينا بالجفاة
فكم برزت بحيهم الغواني   حواسر غير ما متريبات
وكم خشف بربعهم وظبي   يمر مع الجداية والمهاة
ولولا الجهل ثم قلت مرحى   لمن ألفوا البداوة في الفلاة

تقريظ المطبوعات الجديدة

﴿ نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان ﴾

اهدانا العلامة عبد الحميد الفراهي (من علماء [illegible]) [illegible] رسائل في تفسير سور متفرقة من القرآن [illegible] كرفي العنوان وهي [illegible] والعصر والكافرون والمسد أو «تبت» وقد [illegible] على هذه الرسائل [illegible]

النظر فاذا طريق جديد في أسلوب جديد من التفسير يشترك مع طريقنا في القصد إلى المعاني من حيث هي هداية إلهية ، دون المباحث الفنية العربية ، ولكنه لا يفسر كل آيات السورة وكلماتها ولا يتكلم على ما يفسره بالترتيب وإنما يتكلم عن المسائل الكلية والمقاصد التي تهدي اليها الآيات كلاما عاما مبسوطا مفصلا معدودا بالأرقام . فمن فصول تفسير سورة التحريم : (١) نظام السورة وموقع آياتها (٢) سنة الله في الاحتساب (٣) عمود السورة هو الاحتساب والتشمير له (٤) دين الفطرة هو الاعتدال بين الفسق والرهبانية (٥) تفرق الفسق والرهبانية (٦) نزول القرآن حسب احسن المواقع (٧) شأن نزول هذه السورة حسب الكيفيات (٨) شأن نزول آيتين ١ — ٢ حسب جزئيات الواقعة والفوائد الكلية منها وهي ست . الخ وان للمؤلف لفهما ثاقبا في القرآن وان له فيه مذاهب في البيان ، وطرائق في الاستطراد منها القريب والبعيد وإنه لكثير الرجوع باللغة إلى مواردها والصدور عنها ريان من شواهدها فقد كتب في تفسير كلمة « صغت » من قوله تعالى « ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما » اكثر من صفحة على انه قد صنف كتابا في مفردات القرآن كما فعل الراغب الاصفهاني . ولا أدري أفسر القرآن كله على هذا النمط أم هو يشتغل بذلك الآن ويريد طبع تفسير كل سورة عند إتمامها . وقد رأيت فيما قرأت ذكر كتب أخرى له في القرآن والدين كالمفردات وتاريخ القرآن والأمثال الإلهية وأصول الشرائع فعسى أن يتفضل باخبارنا عنها أهي تامة أم لا ، أطبع منها شيء أم لا ؟

هذا وقد أرسل الينا عدة نسخ من تفسير بعض السور لأجل بيعها عندنا وهي مطبوعة طبعا حجريا عن خط فارسي حسن فمن أحب ان يطلع عليها فليطلبها من ادارة المنار وثمن تفسير سورة التحريم قرشان وماعداه فثمنه قرش او قرش ونصف

* * *

﴿ رحلة الحبشه ﴾

هذه الرحلة من أحسن الرحلات أسلوبا وفائدة وفكاهة ألفها بالتركية صادق باشا المؤيد العظم الفريق الأول بالجيش العثماني للسلطان عبد الحميد بأمره وهو الذي أرسله الى نجاشي الحبش بكتاب منه فكتب ماراه وشاهده في طريقه وفي البلاد

والمواقع التي نزل بها الاسيا الصومال وما رآه واستنبطه من المسائل العسكرية والاجتماعية ومامله من التقاليد والعادات مع شيء من التاريخ القديم والحديث عن الحبشة فجاءت رحلة جامعة لكثير من الفوائد المتنوعة من كل فن وذكر في آخرها الوقائع الحربية بين ايطاليا والحبشة مفصلة وختمها بذكر من نال شرف صحبة النبي صلى الله عليه وسلم من الحبش رجالا ونساء . وقد ترجمها بالعربية رفيق بك العظم وحقي بك العظم وطبعتها شركة طبع الكتب العربية على النسق الذي طبعت به في التركية مزينة بالصور والرسوم ومنها صورة النجاشي بلباسه الرسمي ومتصلا بها خريطتان احداهما رسم فيها الطريق الذي مر به والثانية رسمت فيها بلاد الحبش . وقد زادت صفحات هذه الرحلة على ٣٧٠ وثمنها اثنا عشر قرشا صحيحا

وانا ننقل شيئا من كلامه عن مسلمي الصومال وتعلقهم بالدولة العلية . قال في سياق كلامه عن جيبوتي حاضرة مستعمرة الصومال الفرنسية مانصه

«ومنذ خرجنا الى البر أخذ الاهالي وكلهم من المسلمين يفدون علينا أفواجا مرحبين بنا بعبارات الاحترام والتعظيم ولم يكتفوا بذلك بل انتظرونا بينما كنا عند الوالي ود آتو يوسف» خارج المحل وعند ماخرجنا رافقونا مهللين مكبرين واستمروا كذلك كلما نخرج يرافقوننا من محل الى آخر ويتحينون كل فرصة لاظهار سرورهم العظيم من ورودنا ثغرهم فاذا طلبنا مركبة يجري العشرات منهم لاحضارها واذا سألناهم الطريق يقدم مئات انفسهم القيام بخدمتنا وما كنا نحتاج لهم لأن الوالي كان عقب وصولنا عين سكرتيره ليكون (مهماندارا) لنا مدة اقامتنا في جيبوتي ولكن اعتذرت عن ذلك شاكرا انسانيتهوا كتفيت بجنود الشرطة الذين خصصهم لخدمتنا

« وبعد قليل من وصولنا الفندق تكاثأ المسلمون بعضهم على بعض في الردحة الكائنة امام الفندق وأخذ يزداد عددهم كثيرا فكانوا لايقنعون برؤية الوفد المرسل من قبل خليفة الاسلام مرة واحدة بل كانوا يريدون أن يروه كثيرا على قدر استطاعتهم واستمر الزحام على هذا المنوال امام المنزل الى مابعد العشاء»

ثم ذكر انه قبل السفر من جيبوتي آذنه خادم الفندق بقدوم رؤساء بعض القبائل لزيارة الوفد السلطاني . قال

« هذا وقد غاب الخادم قليلا ثم جاء ومعه الزائرون وكان عددهم ثمانية وهم رؤساء قبيلتي عيسا ودانجالي وهم سمر الوجوه لون البعض منهم يميل للحوزي وكلهم طوال القامة متناسبو الاعضاء تجللهم سمات الوقار والمهابة ويلبس البعض قميصا طويلا وعلى رأسه طاقية والبعض ليس عليه سوى (فوطه) وهو مكشوف الرأس .وشعرهم الكث فوق رؤوسهم يشبه العمامة المدورة الكبيرة يضعون في خلاله سهما طويلا مصنوعا أغصان الاشجار مثل (الدبوس) الذي يربط به السيدات الغربيات قبعاتهن على شعورهن .ويستعملون هذا السهم لحك جلد رؤوسهم عند اللزوم لانه لا يمكن وصول أصابعهم لجلد رؤوسهم بسبب كثافة الشعر . وكان بعضهم وهم الذين كانوا يترددون على الحجاز يتكلم اللغة العربية جيداً والباقون لا يعرفون منها إلا قليلا

وبعد المصافحة والسلام اخذوا يدعون وهم وقوف على الاقدام للحضرة العلية السلطانية وابلغني انه سيصل مساء وفود من طرف القبائل القريبة من جيبوتي للتسليم على الوفد السلطاني .ثم جلسوا فصاروا يسألون عن احوال الأستانة مستفسرين عن عدد سكانها وعن مساجدها الجامعة والمحلات المباركة فيها وعن الوجهة التي أقصدها وسبب سفري اليها

« وكسوة هؤلاء الرؤساء بسيطة جدا والبعض منهم حافي القدمين والبعض يلبس في رجله نعلا مثل النعال الحجازية .ومع كل ذلك ترى الانسان يشعر بهيبتهم ووقارهم حال رؤيته لهم .وسمات الشجاعة والبسالة الظاهرة على وجوههم تجعل كلا منهم شبه تمثال للحرب والكفاح صنع من (البرونز)

« بينا كنا نتجاذب اطراف الحديث اذ جاء الموسيو بونهور والي الصومال الفرنسية لرد الزيارة ومعه حاشيته والكل مرتدون ارديتهم الرسمية وكان يمشي أمام مركبة الوالي فارسان من جنود الشرطة فلما رأى الوالي المومأ اليه رؤساء القبائل الصومالية هش في وجوههم وصافحهم جميعا يدا بيد وسأل عن أحوالهم وصحتهم ولم يمض قليل من وصول الوالي حتى جاء أيضا (آتو يوسف) قنصل الحبشه في جيبوتي وبعد ان

مكث الوالي برهة استأذن بالذهاب مذكرا إياي بالاجتماع عنده في دار الحكومة مساء لحضور المأدبة التي أعدها اكراما للوفد السلطاني وقد كان الوالي دعاني ومن كان معي لهذه المأدبة يوم وصولنا الى جيبوتي »

ثم قال بعد كلام في حال البلد وشؤونها

« وفي الساعة العاشرة على الحساب الشرقي سمعت انغاما وأصواتا آتيـة من بعيد و بينا أنا أفكر في ماعسى أن يكون ذلك إذ أخبرت بورود وفد قبائل عيسا فخرجت إلى شرفة الفندق فرأيت جمهورا من الناس نحوا من خسمائة ذوي ألوان نحاسية كبيري الاجسام متناسبي الاعضاء مسلحين بالحراب والهراوات ويكبرون مرة وينشدون الأناشيد الحربية مرة أخرى وجماهير الناس تمشي معهم محتاطين بهم للتفرج عليهم و بعد أن وصلوا أمام الفندق أخـذوا يسلمون علينا بلسانهم ولما انتهوا من السلام تحلقوا وصاروا يغنون و يرقصون والبعض منهـم كانوا يتبارزون داخل تلك الحلقة ويمثلون حروبهم بأصوات خشنة مدهشةو بأوضاع خفيفة وسرعة عجيبة مما يدل على انهم اقوام حربيون أولو بأس شديد وميل للحرب والطعان . و بعد ذهاب هذا الوفد أتى وفد الدانقاليين و بعدهم وصلت وفود العرب الوطنيين بطبولهم وزمورهم ثم انصرف الجميع شاكرين لما لقوه منا من الاكرام وكانت قد دنت الساعة الثامنة على الحساب الافرنجي فارتديت الكسوة الرسمية البيضاء وذهبت أنا ورفيقي لحضور المأدبة التي دعينا اليها » اه المراد

وفيه من العبرة انالدولةالعلية وسلطانها نفوذا معنويا في نفوس جميع المسلمين لم تحسن الانتفاع منه ولا النفع به في الماضي فعسى أن تنتفع به في هذا العهد الجديد الذي دخلنا فيه وهو آخر الرجاء في حياة هذه الدولة فعسى ان لا يقطعه أصحاب النفوذ بالمنازعات الجنسية والأهواء الشخصية . وفيه أيضا ان الوالي الفرنسي يعامل أولئك الناس الذين يعدهم متوحشين بالاحترام ليؤنسهم بحكمه ويأمن جانبهم ويكسب مودتهم ودولتنا تحتقر أمثالهم في اليمن والحجاز والعراق فيتبدل حبهم لها بغضا وميلهم اليها نفورا وإعراضا فعسى ان لا نعود إلى ذلك في هذا الزمان

وقد انتقدنا على الرحلة ذكر الشهر الذي سافر فيه المولف (وهو نيسان)دون

ذكر السنة في أوطا وجريانه على ذلك في اثنائها حتى انتهت في ١٢ تموز (يوليو) ولكن يعرف القارئ أن الرحلة كانت سنة ١٨٩٦ م من ترجمة براءة الوسام الذي اهداه النجاشي الى صادق باشا وترجمة المكتوبات التي ارسلها اليه نظار النجاشي وآل بيته

***

﴿ عقود الجوهر . في تراجم من لهم ٥٠ تصنيفا فئة فأكثر ﴾

نشرنا في آخر الجزء الماضي اعلانا لجليل بك العظم محاسب المعارف ببيروت عنوانه « ذيل لكشف الظنون » علم منه انه يعنى منذ ١٦ سنة بجمع مافات صاحب كشف الظنون من أسماء الكتب وما حدث بعده منها . وقد استحسن في اثناء بحثه ان يضع كتابا في تراجم المكثرين من التصنيف الذين لهم خمسون مصنفا فئة فأكثر وقد أتم الجزء الأول من هذا الكتاب وسماه « عقود الجوهر » وطبعه وهو يذكر للعالم ترجمة مختصرة ثم يذكر مصنفاته مرتبة على حروف المعجم فجزاه الله خيرا . وقد اقترحت عليه في بيروت أن يجعل الذيل وأسامي المؤلفين كتابا مستقلا في اسماء الكتب والفنون فعسى أن يلقى من المساعدة مايرجع ذلك عنده

***

﴿ الاشتقاق والتعريب ﴾

قد علم قراء المنار في العام الماضي ما كان من أعضاء نادي دار العلوم من المناظرات في مسألة التعريب . وقد عني الشيخ عبد القادر افندي المغربي أحد محرري جريدة المؤيد في أثناء ذلك بوضع كتاب مستقل في المسألة وطبعه في هذا العام فبلغ زهاء ١٥٠ صفحة بقطع كتاب الاسلام والنصرانية . وقد ترجم المؤلف كتابه بقوله فيه « يبحث في مايعرض للغة العربية من تكاثر كلماتها بواسطتي الاشتقاق والتعريب » وأن هذا الاخير طبيعي في لغتنا وفي غيرها من اللغات ، وان استعمال المعرب لايحط من قدر فصاحة الكلام والاستشهاد على ذلك » فهو اذا مؤيد الرأي القائلين بجواز التعريب والتصرف في اللغة بحسب الحاجة بل توسع في ذلك بما لا يوافقونه كلهم عليه فيا نظن

ودعم كلامه بضروب من الأمثلة والشواهد والدلائل لم يسبقه اليها الباحثون وقال في أواخر الكتاب ما نصه :

نتائج وملاحظات

قد تحصل معنا أن الكلمات التي تستعمل اليوم في اللغة وينطق بها المتكلمون بتلك اللغة — قسمان قسم عربي محض وقسم دخيل · والدخيل أنواع : منه ما أدخله أهل اللغة أنفسهم إلى لغتهم قبل الاسلام كسندس وابريق · ويسمى في الاصطلاح معربا · ومنه ما أدخله المولدون في صدر الاسلام ويسمى مولدا · ومنه ما أدخله المحدثون بعد هذين الدورين ويسمى محدثا أو عاميا · والطريقة في احداث النوعين الأخيرين المولد والعامي — قد تكون الاشتقاق : كالعربية والبارود والفسقية · وقد تكون التعريب : كالبوس والبازهر والماهية وقد تكون التصرف في الاستعمال : بأن تستعمل الكلمة على خلاف المعنى المستعملة فيه عند العرب : كالقطر والقطائف ·

والدخيل بأنواعه الثلاثة لا يحط من قدر الكلام العربي إذا وقع فيه وان كان في أصله غير عربي لما قدمناه من الأدلة على ذلك عند الكلام على التعريب « . لأدلة المذكورة تصلح أن تكون مقدمات منطقية نتيجتها « ان الكلمات العربية المعربة عربية أو بقوة العربية » حتى لا يكون ثم فرق في صحة الاستعمال بينها وبين ... التي تكون عربية الأصل : بحيث يصح لك أن تستعمل كلمة «رصاص» لا عجمية المعربة في كل موضع تستعمل فيه كلمة «صرفان» العربية · ومايدرينا ... [illegible] وأمثالها من الالفاظ القديمة التي نحسبها عربية والتي لا نرا ... [illegible] للاشتقاق ... عربية — غير عربية في أصلها وإنما هي دخيلة ·

وقد ذكرنا في جملة تلك الأدلة دليلا لا نزاع في صدق دلالته : وهو ان علماء ... [illegible] منهم حصروا شروط فصاحة المفرد في ثلاثة أمور : خلوصه من تنافر ... [illegible] ومن الغرابة ومن مخالفة القياس ولم يشترطوا في فصاحته قط أن يكون عربيا لا شائبة فيه للعجمة ·

... [illegible] في الكلمة الدخيلة التي تودعها كلامك خلوصها مما ذكره علماء

البلاغة كان كلامك فصيح المفردات . وعليك بعد ذلك ان تراعي سائر ما اشترطه أولئك العلماء في فصاحة الكلام و بلاغته . حتى إذا فعلت كان كلامك فصيحا بليغا.

لا يكون كلامك فصيحا إذا أودعته من الكلمات العربية ما كان غريبا عن افهام المخاطبين أو ما تنبو عنه اذواقهم وتتجافى طباعهم مثل أن تقول « وكان الطهاة يعرفون ألوان الطعام بالفشليل» والفشليل كلمة معربة عن قفليز الاعجمية . ومعناها المغرفة — كما لا يكون فصيحا إذا أودعته من الكلمات العربية المحضة ما كان من بابة تلك الكلمات : كأن تقول « أتانا مختالا في مشيته ـ متفشلا لحيته» تعني منفشا لها . أو تقول « لحاه الله من رجل عنجش » أي فظ جافي الطباع . ومن هذا القبيل الكلمات الانكليزية أو الالمانية مثلا التي تكون مخارج حروفها صعبة متنافرة يتعذر أو يتعسر علينا النطق بها . ولم نعهد مثلها في مخارج لغتنا . حتى اذا اضطررنا إلى ادخال كلمة من هذا الصنف في لغتنا كان علينا حينئذ ان نشذبها ونهذبها ونوفق بينها و بين أوزان لغنا ما استطعنا الى ذلك سبيلا . كي تواتينا و يسهل علينا النطق بها . والا كان علينا أن نهجرها ونعد الكلام الذي يتضمنها غير فصيح . كما اذا تضمن كلمة متنافرة مثلها من الكلمات العربية الاصل كالهعخع وهو اسم نبات . قيل لأعرابي أين تركت ناقتك؟ قال تركتها ترعى الهعخع . وكأن تقول لآخر : اياك أن تتزوج الهقعة بضم الهاء وتشديد الميم المفتوحة . تعني الحمقاء الورهاء . (١)

واعلم أن الكلمات الدخيلة في لغتنا مهما كان اصلها ترجع إلي قسمين : قسم مدلوله الجواهر والاعيان مثل نرجس وجلم . وقسم مدلوله المعاني والاحداث مثل البوس : فكلمات القسم الاول إذا شاعت بيننا . وحلت في اسماعنا وتداولتها الخاصة كما تداولتها العامة . وتنزهت عن أن تكون من « الفاظ السفلة » كاسيجي

(١) المنار : ان بعض ما مثل به من الغريب ليس مما يثقل على اللسان كنفشل ولكنه غير مألوف لعدم صقله بالاستعمال فهو لا ينافي الفصاحة . وما كان ثقيلا كالمعخع الذي يذكرونه في كتب البلاغة انما ينافي مثله الفصاحة و يكره استعماله اذا كان له مرادف يقوم مقامه والاحسن استعماله عند الحاجة اليه ورأيت اكثر ادباء عصرنا غافلين عن هذا وذاك

في قول ابن المقفع – ينبغي أن يجوز لنا استعمالها وادماجها في كلامنا: لأن الكلمة التي من هذا القبيل إما ان لا يكون لها مرادف في لغتنا أو لها مرادف مهجور وحينئذ يكون الوجه في استعمالها ظاهرا . وعذرنا فيه مقبولا . وإما أن يكون لتلك الكلمة مرادف معروف ومشهور فيكون لنا الحق في أن نستعملها ايضا اقتداء بأهل اللغة انفسهم الذين كانوا يتركون كلماتهم العربية الى مرادفاتها من الكلمات المعربة الدخيلة مثال ذلك كلمة « كوسج » الاعجمية فانهم لا يكادون يطلقون على الكوسج سواها . وقلما تراهم يستعملون كلمة الأثط العربية . بل اذا وردت هذه في كلامهم فسروها بالكوسج . لكونها أشهر منها واعلق بأذهان الناس كما يفسر شراح الحديث كلمتي « الدجر » و « الياء » العربيتين بكلمة اللوبياء الاعجمية المعربة

وقد كثر استعمال الدخيل والاعراض عن الاصيل في كلامهم كثرة تشعر بأن هذا الصنيع طبيعي في اللغة وضرورة لا يمكن دفعها . بل يشبه أن يكون قياسيا لأهل اللغة من ورائه غاية محمودة : هي توسيع نطاق لغتهم وتسهيل أمرها على ممارسها

هذا في كلمات القسم الأول الذي مدلوله الجواهر والاعيان . اما القسم الثاني الذي تدل كلماته على المعاني والاحداث كالبوس فهذا ربما ضر الإستكثار منه فيها أعلن : اذ يكون مدرجة لضياع اللغة ومسخها وتحويلها عن اصلها . وقلما تجد العرب نقلوا إلى لغتهم فعلا أو مصدرا أو اسلوبا خاصا من أساليب كلام الاعاجم . وشاهد ذلك معاجم اللغة ودواوين آدابها وان كان شيء من ذلك فهو قليل جدا ككلمتي « الهرج . والنفاق » الحبشيتين . (١)

واكثر ما كان حدوث هذا النوع من الكلمات في زمن ترجمة الاصطلاحات العلمية في العصر العباسي . أما في زمن الجاهلية فلعله لم يتخط القبائل التي عاشت مع الاعاجم وكثر امتزاجها بهم كغسان ولخم وجذام . ومثل هذا لا يصلح حجة للقياس والجواز العام . نعم أن اللغة بمجموعها جواهر واحداثا محولة عن لغة اعجمية كما اثبتناه

(١) المنار : الكلمتان عربيتان ومعنى الأولى الفتنة التي يحدث فيها تداخل واضطراب وقتل وقول ابي موسى ان الهرج في لسان الحبشة القتل لايدل على ان العرب اخذتها عن الحبشة وربما كان العكس . والثانية مشتقة من النافقاء (راجع ص ٨٨٥م١١)

في صدر هذا الكتاب . ولكن هذا في تحول اللغة وتولدها المتوغل في القدم . لا في التحول التدريجي الذي يفهم من إطلاق كلمة التعريب . والذي كان يحصل على ألسنة العرب بعد أن قامت لغتهم بنفسها واستقلت بأصولها وقواعدها فانهم اذ ذاك ما كانوا يرجعون في وضع كلمات الاحداث والمعاني إلى الاستعانة بلغات غيرهم . وانما يرجعون الى فضل ذكائهم وذلاقة لسانهم . وحسن طريقة الاشتقاق في لغتهم . فهم يضعون أو يشتقون للمعاني التي تجول في نفوسهم من الكلمات مايغنيهم عن التطفل في ذلك على سواهم . أما الجواهر والاعيان . فقد يتعذر أو يتعسر عليهم أن يضعوا لها كلمات . بعد ان ضرب المستيضمون والتجار في طول جزيرتهم وعرضها . وهم ينادون باسم الخيار والقوبيا والباذنجان والكوب والابريق والمسك والبنفسج والسندس والإستبرق والفيروز والبلور واللجام والدنق والدرهم والدينار والعربون الى غير ذلك اسماء الادوات والفرش والماعون . وقد ضاق ذرع العرب بهذه الاسماء . وأعجزتهم كثرتها فاضطروا الى أن يرجحوا بها ويلقوا حبلها على غاربها اه المراد منه

وثمن الكتاب خمسة قروش وهو يباع في المكاتب المشهورة

باب الأخبار والآراء

نصيحة

﴿ لمسلمي بيروت عامة ، وفتيانهم الشجعان خاصة ﴾

اني في كلامي عن البلاد السورية قد فضلتكم على غيركم ، ووجوت منكم لخير البلاد مالم أرجه من سواكم ، وانما كتبت ما اعتقدت ، بحسب ما رأيت واختبرت ، تنشيطاً للعاملين ، وتنبيهاً للخاملين ، ذلك بأني رأيت من احترام الحرية عندكم مالم أر مثله في طرابلس ولا دمشق ولا غيرهما من البلاد ورأيت

فيكم حركة الى العلم والتربية لم أر نظيرها على ضعفها في غير بلدكم فحمدت الله تعالى على ذلك وحمدتكم ·

ثم إني أقمت في بلدكم سبعة أسابيع متصلة بعد تينكم الزيارتين المتعاقبتين فرأيت فيه أمرا استنكرته وحزنت لأجله حزنا شديدا ؛ فأحببت أن أنصح لكم فيه كتابة كما نصحت فيه لكثير منكم مشافهة وخطابة، عسى أن تكون الكتابة أعم وأنفع؛ ولا أقول ان هذا الامر المنتقد خاص بكم وإنما أرجو ان ترجعوا عنه بمجرد النصيحة وربما بقي عند غيركم الى ان تكون الحكومة الجديدة وتستقر فترجعهم عنه بالقوة القاهرة ان لم يرجعوا خوفا منها ·

ذلك الامر المنكر هو ما ذكرته في آخر خطاب ألقيته في نادي الجامعة العثمانية عندكم (ونشرت محصله في هذا الجزء) وأعني به ازعاج الحرية الشخصية في بعض الاوقات لا سيما حرية أصحاب الصحف · وقد حمدكم العقلاء لاستنكاركم حادثة الشام وحملكم على المفسدين الذين أثاروا الفتنة فيها كراهة لحرية العلم والاستقلال في فهمه ونشره ولكن جرائد الشام الآن أوسع حرية من جرائدكم كما يعلم ذلك جميع القراء منكم فهل ترضون بهذا الانقلاب ؟

كاد يقع الخصام بل الالتحام في الصدام بين طائفتين منكم لان شيطانا من شياطين الانس وسوس الى بعضهم: إن جريدة كذا نشرت آية من القرآن الكريم ونشر القرآن في الصحف إهانة له فيجب أن يهان صاحبها حتى لا يعود الى ذلك· ذكر ذلك في مجتمع فيه كثير من العامة والخاصة فاشتد في الانكار بعض الشبان فانبرى للدفاع عن صاحب الجريدة آخرون من ابناء حيه فتساهل الاولون وانتهى الكلام بانتداب رجلين لسؤال صاحب الجريدة عن حقيقة الامر والاحتجاج عليه. قال كنت عنده وكان هو قد خرج لحاجة فراجعنا جريدته أولا فلم نجد فيها شيئا من القرآن وأقنعتهما بأن الاهانة لا تكون لا بالقصد وان من يقصد إهانة القرآن بعمل يصير به مرتدا لا عاصيا فقط ولا يقع هذا من مسلم وانما يكتب الآيات من يكتبها لاجل ان يكون في كلامه روح ربانية مؤثرة ينفع بها القارئين ·وقلت لهما ان جميع جرائد المسلمين

في مصر وفي بيروت وغيرهما من البلاد تزين بعض كلامها بالآيات الكريمة وتناولت من جرائد كانت بجانبي نسخة من المؤيد فأطلعتهما على عدة آيات فيها بعضها في خطبة لأحد الاساتذة بنظارة المعارف المصرية. وما زلت بهما حتى خرجا مقتنعين بأن من من حرك هذه الفتنة لم يكن مخلصا في قوله وقبلا يدي بعدان كانا حديثهما معي حديث الخصم مع الخصم فدل ذلك على حسن نيتهما

ثم ان صاحب جريدة أخرى كتب في جريدته ان المسلمين مقصرون فيما يجب عليهم من العناية بالتربية والتعليم وما تقتضيه حال العصر من سعة الثروة وان جيرانهم وخلطاءهم من النصارى قد سبقوهم في هذا المضمار . فوسوس شيطان التفريق الى بعض الفتيان المتحمسين قال ان صاحب جريدة كذا قد أهان المسلمين وفضل النصارى عليهم !! فاضطربوا وغضبوا وأخذ بعضهم نسخا من بائع تلك الجريدة فرقها وحاول طائفة منهم إهانة الكاتب بل اهانه بعضهم بالفعل ، وطاف آخرون على بعض المشتركين بالجريدة يرغبوا اليهم أن يقطعوا اشتراكهم فيها

وقد رأيت شابا يتأثر صاحب هذه الجريدة في بعض الشوارع فلما رآني استوقفته وتحدثت معه ثم تركته تمني وسألني عما كتبه عن المسلمين فقلت له كتب كيت وكيت ليحث المسلمين على إنشاء المدارس والعناية بتربية أولادهم حتى يكونوا أرقى الأمم واعلها وعلى تحصيل الثروة ليكونوا من أغنى الناس واعزهم . وأقمته بأنه لا يعقل أن يكون قصد إهانة أهل دينه الذين يهان بهوانهم و يعتز بعزتهم و يشرف بشرفهم من غير ان يكون له فائدة في ذلك ولا مجال للقول بأن له فائدة أو ربحا من الإهانة ثم ذكرت له شيئا من مفاسد هذا الشقاق الذي يلقيه بعض أهل الاهواء بين المسلمين وهو أضر عليهم لا سيما في هذا الوقت من كل ما يتصور أن يضرهم . فانثنى مقتنعا شاكرا

هذا ما تركت عليه بيروت يوم سافرت منها وقد دخلت القاهرة ليلة الخميس وفي اليوم الثاني من وصولي اليها صليت الجمعة في أحد المساجد فاذا بالخطيب فيه يصدع الناس بوعظ يقول فيه ما معناه : انكم قد تركتم الاسلام وأين الدليل على إسلامكم وأنتم تعملون كذا وكذا حتى قال وتشبهت نساؤكم بالعاهرات . فقلت في نفسي لو كان

رحلة صاحب المجلة

﴿ في سورية ﴾

٤

حمص، وحالها الاجتماعية

سافرت في اليوم الثاني من شوال من بعلبك الى حمص والمسافة بينهما في القطار الحديدي ثلاث ساعات وقد وصل القطار الى محطة حمص الساعة ٨ و٤٥ دقيقة مساء فاذا بالصديق الكريم والولي الحميم السيد عبد الحميد افندي الزهراوي ينتظرني فيها مع طائفة من أهل العلم وكرام البلد في مقدمتهم الشيخ احمد نبهان الذي حببه الينا على البعد مانمي الينا من عقله واخلاقه وحبه للاصلاح مع علمه وحسن سيرته

أقمت في حمص أربع ليال وثلاثة أيام في دار الزهراوي ولقيت فيها أكثر أهل العلم والمكانة من المسلمين والنصارى اذ كانت دار غاصة بهم ليلاونهارا وقد رأيت في هذه البلد من الوفاق بين الفريقين وحسن الألفة مالم أر له نظيرا في سائر البلاد السورية ولا بيروت فان جل مامدحناه من أهل بيروت هو ترك التقاتل والتسافك ولا يزال كل فريق فيها بعيدعن الآخر في المعاشرة والمعاملة الامالايخلومنه مكان بحكم طبيعة الاجتماع وحاجة بعض الناس الى بعض حتى انني قلت لكثيرين منهم انني أرى الوفاق الذي حمدناه لكم على البعد سلبيا لا إيجابيا وصرحت بذلك في نادي الجامعة العثمانية ودعوت الناس في خطبة خطبتها في ذلك الى التزاور والتعامل وغير ذلك من اعمال الوفاق الايجابي

وقد كنا توهمنا ونحن بمصر ان الشقاق بين مسلمي حمص ونصاراها شديد لحادثة جرت في الاحتفال بعيد الحرية كبرتها الجرائد فوجدنا الأمر على ضد ما كتب في ذلك فانني ما رأيت في بيت من بيوت طرابلس ولا بيروت مثل ما رأيت في بيت الزهراوي من اجتماع الفريقين كل ليلة من ليالي الشتاء للسمر ومبادلة الآراء .

ثم انني لم أر في حمص ما رأيت في غيرها من الاضطراب والاعتصاب والافتيات على الحكام والتبرم من جمعية الاتحاد والترقي . ومن أسباب ذلك ان اعضاء لجنة الجمعية المركزية كانت مؤلفة من أناس موثلفين متعارفين لا ينقم الناس منهم شيئا ولا يشكون منهم إهانة ولا شذوذا وقلما اتفق هذا لجنة أخرى كما يعلم مما نكتبه بعد عن الجمعية

ثم انه ينتقد على أهل حمص ما ينتقد على أهل طرابلس من الخمول والسكون فهم لم يشرعوا في عمل مفيد للبلاد . وقد حدثت طائفة من الوجهاء على تأليف جمعية خيرية إسلامية لأجل إنشاء المدارس الاهلية ومساعدة الفقراء على تربية أولادهم وتعليمهم فألفيت منهم ارتياحا واستحسانا وقد مرت الشهور ولم يشرعوا في العمل ولكننا لم نيأس من همتهم وغيرتهم فعسى ان يسمع منهم عن قريب ما تقر به العين

هذا وان عمران حمص ينمو نموا عظيما والزراعة والصناعة تتقدم فيها تقدما مبينا ولكنها متخلفة عن طرابلس في ترف الحضارة وان كانت سابقة لها في مضمار العمران بل هي وسط في التأنق في الاطعمة بين شمال طرابلس و بيروت ودمشق و بين القرى الكبيرة التي يوجد فيها أغنياء يعيشون في بلهنية فالظاهر ان التأنق في حمص خاص ببعض أهل السعة والبيوت المطروقة وان الفقير في طرابلس ليتنوق في طعامه ما لا يتنوق الاغنياء في كثير من المدن ، واني لأعلم ان المصري المقيم في القاهرة نفسها الذي يزيد دخله في الشهر على دخل الطرابلسي في السنة لا يأكل من الحلوى في السنة كلها بقدر ما يأكل الطرابلسي منها في شهر واحد . فقلة التنوق في الاطعمة بحمص محمدة لها عندي إذا كانت تحفظ ثروتها من التلف في غير ذلك من ضروب السرف وتجعل حظا منها عظيما للتعليم والتربية

طرابلس أيضا

سافرنا من حمص قبيل الفجر من يوم السبت سادس شوال (٣١ اكتوبر) في مركبة من مركبات «شركة الشوسة» فوصلنا إلى طرابلس بعد العصر وعلمت أنه يتهيأ السفر إلى مصر « وكنت عازما على السفر في يوم السبت التالي لهذا السبت (١٣ شوال و ٧ نوفبر) ولكن عرض ما حال دون ذلك

جمعية خيرية اسلامية بطرابلس

في يوم الاربعاء (١٠ شوال) رغبت إلى مفتي طرابلس أن يقوم بتأليف جمعية خيرية إسلامية كالجمعية التي بمصر وذكرت له موضوعها وأعمالها ووجوه الحاجة إلى مثلها في طرابلس وأهمها إنشاء المدارس لتعليم أولاد الفقراء على نفقة الجمعية وأولاد الاغنياء بالاجرة . فأجاب بأنه مستعد لذلك بماله وحاله واستحسن أن أدعو الوجهاء والاغنياء إلى ذلك فقلت له انت كبيرالبلد وزعيمها وانا قدصرت غريبا او كالغريب لاني مسافر بعد ثلاث فاذا لم تقم انت بهذا العمل لا ينجح. ثم رضي بأن يكون هو الداعي لهم إلى الاجتماع على انهم متى اجتمعوا أخطب فيهم فان أجابوا الدعوة التي أوضحها لهم وأبين وجه الحاجة اليها كان هو أول العاملين والمساعدين في التنفيذ

وأقول هنا ان رشيد افندي كرامي مفتي طرابلس على كونه سيد بلده وأوسع أهلها ثروة وجاها هو أقرب وجهائها وأغنيائها إلى الخير وأبعدهم عن كل شر وأطيبهم نفساوأبسطهم مع القصد والروية يدا كما يظهر ذلك لمن يباشره خلافا لما عليه أكثر الاغنياء في بلادنافهو لا يدع لطالب الاصلاح في العلم أو العمل حجة عليه بل يجيب كل داع إلى خير كعبد الرحمن باشا اليوسف في دمشق ولكن لا يقدم واحد منهما على ابتكار العمل والنهوض به بل يقولان مثلا كان يقول هنا حسن باشا عاصم (رحمه الله تعالى) أوجدوا العمل وطالبوني بالمساعدة أجبكم اليها . وإنما كان هــذا يساعد بالعمل وذانك يساعدان بالمال فهما خير أغنياء بلادهما

كان عذر حسن باشا عاصم في عدم الاقدام على الابتكار وإيجاد المشروعات، هو عدم الثقة باجابة الناس وثباتهم على العمل ولابن اليوسف في دمشق وابن كرامي في طرابلس مع مثل هذا العذر أعذار أخرى ككثرة أعمالها وما لا حاجة إلى بيانه الآن من حال البلاد وغير ذلك

ذهبت في ذلك اليوم (الاربعاء) إلى القلمون فهيأت ثيابي وحاجي وأرسلتها إلى الميناء في يوم الجمعة وعدت إلى طرابلس مع كثرة الأمطار مساء لان المفتي كان وعدني بجمع الوجهاء ليلة السبت لاجــل تأسيس الجمعية الخيرية فألفيته قد ارجأ

دعوتهم للاشتغال بانتخاب المبعوث عن طرابلس لان الولاية أمرت باتمام الانتخاب يوم السبت ولكثرة الامطار التي كان يظن انها تحول دون عودتي من القلمون على قرب المسافة وقال ان أقرب وقت يمكن ان يجتمعوا فيه إذا نحن دعوناهم بعد انتخاب المبعوث غداً هو ليلة الثلاثاء فرأيت ان أرجئ السفر أسبوعا لأجل إتمام هذا العمل الشريف

ملخص خطبته

وفي ليلة الثلاثاء اجتمع في دار عمر باشا المحمد نحو من عشرين رجلا إجابة لدعوة المفتي وهم من وجهاء لواء طرابلس لا المدينة نفسها فقط فخطبت فيهم خطبة بينت فيها فوائد الجمعيات وأنواعها وتأثيرها في ترقية البشر في العلوم والأعمال الدينية والدنيوية وكون الخيرية منها من الضروريات التي لا يخلو منها بلد من البلاد المرتقية حتى ان الرجل الأفرنجي إذا مر في سياحته على بلد وأراد أن يبذل شيئا من ماله لمساعدة فقراء أهله فانه إنما يرسله إلى الجمعية الخيرية في ذلك البلد وربما وضع أحدهم حوالة مالية في كتاب وكتب عليه « الجمعية الخيرية » ووضعه في صندوق البريد من غير أن يسأل هل يوجد في هذا البلد جمعية خيرية أم لا كأن الجمعيات الخيرية من الامور الضرورية التي لا يمكن ان يخلو بلد منها . وذكرت ذلك المشهوذ الذي جاء القاهرة وأراد بعد ان ربح بألداية فيها ربحا عظيما أن يخصص ليلة يجعل دخلها للجمعية الخيرية الاسلامية فيها فكان ذلك سبب تأسيس الجمعية الخيرية الاسلامية

ثم قلت: أيها السادة ان حكومتكم قد دخلت في طور جديد فصارت ديمقراطية أمرها بيد الشعب بعد أن كانت استبدادية تشبه الارستقراطية بما للأغنياء والشرفاء من النفوذ فيها . واعلموا ان كثيرا من الاحرار الذين اقلقت السلطة الاستبدادية بسعيهم متطرفون في الديمقراطية وان معظم الاحكام ستكون في أيديهم عاجلا أو آجلا وأن الشعب سيشعر بما يجذب اليه كراهة الكبراء والاغنياء فيكرههم وتنفخ فيه روح الاشتراكية وتهيج عليهم بالفعل فاذا جاء طرابلس متصرف متطرف من الديمقراطيين الذين أشربت قلوبهم بغض ... الى الولاية منهم أيضا فاعلموا ان ما تعودتموه من

الجاه والكرامة في وطنكم لا يبقى لكم الا اذا كان الشعب يحبكم بتحبكم اليه قبل ذلك والا دهوركم واسقطكم كما فعلت قبله الشعوب الافرنجية بأولئك النبلاء الذين كانوا يملكون أوربا ويتصرفون فيها تصرفا لم تصلوا الى مثله من كونت ودوق ومركيز ثم يقوم من طبقات الشعب الدنيا من يتولى الزعامة في البلاد بحق أو بغير حق. وما أظن ان صدوركم تنشرح لتلك الحال ولا ان اعينكم تبتهج برؤيته. واني أحب ان تكونوا أنتم زعماء بلدكم في زمن الحرية وتحت ظل الدستور بأن تتحببوا الى الشعب منذ اليوم بنشر التربية والتعليم فيه ومواساة الفقراء والمساكين من أهله

اني لا أحب الارستقراطية وان كنت من بيت شريف، واني ما زلت من دعاة الديمقراطية بلسان السياسة ولسان الدين، وانما أميل الى بقاء زعامة وطني في وجهائه وإيا كم أعني لاعتقادي انه لا يوجد في دهمائه من يصلح للزعامة كما وجد في فرنسا عند ما صارت ديمقراطية

الفرق بيننا وبين فرنسا بعيد، ان فرنسا كانت قبل ثورتها المشهورة قد استعدت ما لم نستعد بمثله نحن اليوم حتى نبغ فيها من دهماء الشعب من يصلحون للزعامة بعلومهم وأعمالهم وآرائهم وأخلاقهم

اني لعلمي بهذا الفرق ولما رأيت في بلاد مصر التي تمتعت بالحرية قبل بلادنا من العبر وهبوط قوم وصعود آخرين أقول ما أقول عن خبرة وبصيرة وأحب ان نعتبر نحن العثمانيين بحال الامة الانكليزية التي هي أعرق الامم في الحرية وأكثرهن استفادة منها فهي الامة التي حافظت على كرامة النبلاء وحرمة البيوتات فيها بعد الديمقراطية الراسخة واستفادت من ذلك كثيرا وأرى ان إسقاط الشعب لكرامة أصحاب البيوتات منا وتسابق أفراد الطبقات الدنيا للزعامة فينا مع ما هم عليه من الجهل يقف في طريق نهضتنا وأن عناية وجهائنا بحفظ كرامتهم وحرصهم على ان يكونوا هم زعماء الشعب يكون أسرع في تقدمه إذا هم أتوا البيوت من أبوابها فإنهم في الغالب على شيء من الاخلاق والعلم أو الاختبار

ثم قلت ان خدمة الأمة والتحبب اليها انما يكونان بالتعاون على تربية أولادها وتعليمهم ما به قوام حياتهم ومواساة المنكوبين والمعوزين من فقرائها وذلك لا يتيسر

الا بتأليف جمعية خيرية يجعل معظم ريعها لانشاء المدارس و باقيه لإعانة المنكوبين والمعوزين وهذا ما أدعوكم الى الاكتتاب له بلسان فضيلة المفتي الحريص على هذا العمل المبرور الراغب في هذا السعي المشكور وسيجمعكم في ليلة أخرى لاجل المذاكرة في القانون الذي يوضع لذلك وانتخاب الاعضاء العاملين - ثم شرعنا في الاكتتاب وافتتحه المفتي في ورقة كتبت في اعلاها ما نصه

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

« وتعاونوا على البر والتقوى »

هذا بيان ما تبرع به الذوات المذكورة اسماؤهم بخطوطهم ادناه لتأسيس جمعية خيرية إسلامية في طرابلس الشام لنشر التعليم الديني والدنيوي على الطريقة العصرية ولإعانة المصابين والمنكوبين المعوزين بمقتضى قانون يجري العمل بموجبه بعد إقرار المكتتبين له في اجتماع خاص وقد جرى هذا في ليلة ١٦ شوال سنة ١٣٢٦ للهجرة الشريفة .

﴿ اسماء المكتتبين لتأسيس جمعية خيرية اسلامية بطرابلس الشام ﴾

ونذكر أسماء المكتتبين مع الألقاب وهم كتبوها مجردة كما هي العادة ورتبها على حسب قيمة الاكتتاب

ليرة عثمانية

١٠٠ مفتي اللواء رشيد افندي كرامي

١٠٠ عمر باشا المحمد   من اعيان اللواء

٠٣٠ عثمان باشا المحمد   «

٠٢٠ علي باشا المحمد   «

٠٢٠ مصطفى افندي عز الدين من كبار التجار

٠١٠ عبد القادر باشا الملا رئيس شركة الترام والشوسه

٠٠٥ ابراهيم بك الاحدب من الاعيان

ليرة عثمانية

٥٠٠ احمد افندي سلطان وكيل الدعاوى (المحامي)

٥٠٠ خير الدين بك عدره من كبار التجار

٥٠٠ عبد الحي افندي الملك من الوجهاء

٥٠٠ عبد القادر افندي القباني البيروتي الشهير (وكان في طرابلس)

٥٠٠ عبد القادر افندي الذوق من كبار التجار

٥٠٠ محمد فؤاد افندي الذوق «

٥٠٠ محمد سعيد بك (مميز قلم تسكوبجي الولاية) الذي كان وكيل المتصرف يومئذ

٥٠٠ محمد كامل بك البحيري صاحب جريدة طرابلس

٣٠٠ عبد اللطيف افندي الفلاييني وكيل الدعاوى

٣٠٠ محمود افندي الحداد من التجار

٢٠٠ الشيخ اسماعيل افندي الحافظ رئيس كتاب المحكمة الشرعية

٢٠٠ صبحي بك شريف

١٠٠ عبد الرحمن افندي أديب من التجار

٣٣٦ المجموع

وقد وعدني بعض هؤلاء بأن يدفعوا أكثر مما كتبوا منهم مصطفى افندي عز الدين والشيخ اسماعيل افندي الحافظ كما وعد بعض من حضر وكتب اسمه ولم يمين مبلغا كعبد الله افندي الثمين من كبار الوجهاء أصحاب النفوذ الادبي في اللواء وعضو مجلس الادارة الآن

هذا وان الذين أجابوا الدعوة وحضروا الاجتماع هم زهاء خمس من دعائم المتق . وقد أبى حضورها بعض المتفخرين بالمجد التليد الذين يرون انهم يستغنون به عن المجد الطريف ومنهم من صار يسعى بعد ذلك في إبطال العمل ويثبط عنه وكان لسعيهم هذا تأثير أوقف التنفيذ إلى أجل ولولا ذلك لما ذكرت من أمر هذه الجمعية إلا ان جماعة من أهل الفضل في طرابلس أسسوا جمعية خيرية إسلامية فلهم الشكر والثناء

يوجد في كل بلد أفراد يجردون من حب الخير ويرون أنهم أهل لأن يوصفوا بكل خير ويؤلمهم منظر الخير في غيرهم لأنه يمثل تحلي عا أعوزهم وأعجزهم فهم يقعدون بكل طريق من طرق الخير يصدون عنها ويبغونها عوجا . لأجل هؤلاء أحب مفتي طرابلس أن لا تؤسس الجمعية الخيرية إلا بدعوة جميع الوجهاء حتى لا يعتذر بعد ذلك أعداء الخير بأنهم لا يساعدون هذا العمل لأنهم لم يدعوا اليه عند التأسيس ونعم ما أحب وما رأى

على أن بعض من دعي ولم يجب ممن ذكرنا وصفهم انتدبوا لإحباط العمل والتثبيط عنه حتى ان منهم من لم يستح من مخاطبة المفتي نفسه بذلك ولما لم يجد وجها وجيها للتثبيط قال له انه لا ينبغي لسماحتكم ان تقوموا بهذه الجمعية عن دعوة فلان فأجابه المفتي جواب العاقل الفاضل فقال أولاً ان هذا العمل خير لا ريب في نفعه وفائدته فسواء كان من دعاني اليه دوني أو مثلي أو فوقي لا فرق في ذلك وثانيا ان الداعي الى ذلك هو واحد منا ومن أهل العلم والشرف فينا وليس له منفعة شخصية ولا غرض ذاتي حمله عليه ولا هو يريد الاقامة في هذه البلاد فنقول انه ينفرد بشرف العمل فيه حبا بالشهرة الخ

إني لما علمت بمثل هذا القول الذي قيل للمفتي ولغيره كففت عن السعي فيما كنت آخذا فيه من تأليف لجنة موقتة لادارة العمل والدعوة إليه الى ان يشترك في الجمعية عدد كثير تتألف منه الجمعية العمومية التي تنظر في القانون وتنتخب من افرادها اعضاء الادارة . وكنت اسعى الى من اظن فيهم الخير في بيوتهم ومحال عملهم . وإنما كففت لأرى ماذا يصنع المعذرون او المثبطون هل يتفقون مع المفتي ويرضون العمل ام يرتاحون الى السكوت عنه لأنه هو المقصود لهم بالذات؟ فتبين بعد ذلك انهم لا يريدون الا إحباط العمل لانهم لا يعملون الخير ولا يحبون ان يعمله غيرهم

وقد كتبت في مذكرتي في أوائل شهر ذي القعدة ما نصه : ذكر لي غير واحد من الوجهاء ان مجلس الجمعية الخيرية الاسلامية بطرابلس لا يرجى وان الذين ا كتتبوا [illegible] لا يعتقدون انهم يدفعون شيئا بل قالوا ان المفتي نفسه بما يرني مسايرة [illegible] وهو يعتقد ان التقصير سيظهر من غيره . وألح علي (فلان) ...

بأن اترك التشبث بالجمعية . وظهر لي انه يرى ان ذلك ينفر القوم مني من حيث لا أستفيد مما أريد شيئا » الخ ما كتبته في شأن افراد معينين من قائل ومقول فيه

أكتب هذا ليعلم أصحاب النية الصالحة في طرابلس كالمفتي وغيره السبب في اكتفائي بعد ذلك بانتقاء نفر من يرجى نجدتهم لإدارة الجمعية موقتا وايذان المفتي بذلك في يوم الاربعاء ٢٣ ذي القعدة (١٦ دسمبر . ك ١) بعد دعوة كل واحد منهم على حدته ووعده لي ببذل الجهد في ذلك الا واحدا منهم (وهو محمود افندي الملا) قال انه لا يدخل في العمل إلا بعد ان يشرعوا فيه بالفعل . وان لي رجاء قويا في همة المفتي وغيرته وهمة أولئك الأنجاد بأن ينهضوا بهذه الجمعية نهضة صالحة بعد هدوء الاضطراب الذي احدثه ضعف الحكومة الجديدة والاستواء على حال ثابتة . وانني اساعدهم بالقلم من هنا وا كون عونا لهم على اليائسين الذين لم اكتب ما كتبت الآن الا ليعلموا ان كيدهم في تضليل « والله يقول الحق وهو يهدي السبيل »

حقوقنا المهضومة ونائب طرابلس العبري

لقد علم القاصي والداني من عثماني وغير عثماني أن حكومة الاستبداد الماضية قد أسرفت في الجور على بيتنا وظلم أهلينا انتقاما مني (راجع فاتحة السنة الثانية عشرة في الجزء الماضي) وكان من ذلك الظلم انه لما توفي والدنا تغمده الله برحمته صرت أنا المستحق بعده للتولية على جامع القلمون الذي جدده فيها جدنا الثالث بحسب نظام التوجيهات الناطق وفاقا للشرع بأن يوجه ما ينحل عن الوالد من الوظائف المتعلقة بالاوقاف الى أكبر أولاده ولكن حكومة الرشوة والاستبداد وجهت تولية مسجدنا على رجل آخر اسمه عثمان النصري واشتهر انه اعطى القاضي (نوري افندي) على ذلك اربعين ليرة . ثم اعطاه رجل آخر اسمه الشيخ محمود حسن - على ما شاع وذاع - سبعين أو ثمانين ليرة فعزل عثمان النصري بعد دعوى ملفقة ووجه التولية على محمود حسن

فلما أردت السفر من طرابلس الى مصر قدمت دعوى الى المحكمة الشرعية ملخصها ان تولية محمود حسن على جامع القلمون غير صحيحة وانني أنا صاحب الحق في هذه التولية فأطلب توجيهها علي عملا بالنظام واذا فرضنا أن توليته صحيحة فانني اثبت خيانته بترك معاهد الوقف عرضة للخراب وترك عمارة ما خرب منها في زمن

توليته والزيادة في النفقات والنقص من الريع. ووكلت عني وكيلين شرعيين ثم تهيأت للسفر لحدث ماذكرآنفا من التثبت بتأسيس جمعية خيرية ثم جاء نبأ برقي بأن نيابة طرابلس (أي قضاءها الشرعي) وجهت الى عبد المجيد افندي الجعفري وانه سيسافر من الاستانة قاصدا طرابلس ثم لم يلبث ان حضر

عرضت الدعوى على هذا النائب فقال لي انني أقول لك وان كان لاينبغي للقاضي ان يصرح برأيه قبل الحكم ان حقك ظاهر وانني سأعيده لك بعد استيفاء المعاملة الشرعية - ولما كنت على ثقة من ظهور هذا الحق اعتقدت ان الدعوى تنتهي في اسبوع أو اسبوعين فأجلت السفر وتابعت سير الدعوى بنفسي وأنا أظن في كل أسبوع انني افرغ فيه من الدعوى وأسافر في الذي بعده وكنت عازما على الاقامة في سورية خمسة اسابيع فقط لكثرة شغلي في مصر فأقمت ستة اشهر والدعوى على حالها يزيدها النائب كل يوم تعقيدا

اني لم أكد اجالس هذا القاضي مرتين أو ثلاثا الا وقد جزمت بأنه سيهان في طرابلس إهانة لم يسبق لها نظير فكنت حريصا على إنجاز قضيتي قبل ظهور حقيقة حاله التي تقتضي ماتوقعته بالفراسة وكاشفت به غير واحد ولكن هذا القاضي لاينجز عملا لمن يعتمد مثلي في نيل حقه على انه محق وقادر على إثبات حقه

انشأ هذا القاضي يؤجل جلسات الدعوى ويبحث وكيلي الخصمين على كتابة ماشاآ في جريدتها ويماطل في قراءة ما كتبا وقد ثبت لديه ان تولية المدعى عليه غير صحيحة وانه خائن تارك للعمارة الواجبة شرعا كما تبين بالكشف من قبل المحكمة وشهادة الشهود ومع هذا لم يحكم بشيء. حتى آن الأوان وضج الالوف من الناس بالشكوى منه واجتمعوا عند المحكمة وهم ألوف ينادون فليسقط القاضي الخائن المرتكب وشكوا أمره للمشيخة الاسلامية فامرت بالتحقيق وهم يشكون منه أمورا كثيرة ذكرت في جريدة لسان الحال وغيرها منها التطويل في المرافعات وعدم الحكم فيها بعد انتهائها كما حدث مما حتى امتنع الوكلاء (المحامون) عن المجيء الى المحكمة ومنها أنه قد يحكم ثم يرجع بحكمه بعد كتابته ومنها كراهته للحكومة الدستورية واعتزازه بكونه من جمعية « فدا كاران ملت » وقد علمنا بعد ذلك انه كان نائبا في صيدا فأحدث فيها فتنة حتى هرب منها ليلا وان ذلك شأنه في كل بلد كان فيها حاكما

(لها بقية)

﴿ قانون المطبوعات وتقييد الصحافة بمصر ﴾

لم تكد تستقر قدمنا بمصر بعد عودتنا من سورية (في الاسبوع الاخير من هذا الشهر) حتى صخ سمعنا نبأ عزم الحكومة على العمل بقانون المطبوعات الذي وضع عقب الثورة العرابية لئلا تعيد الجرائد ذلك التهييج سيرته الاولى ثم سمعنا ان هذا كان عن اتفاق بين الامارة المصرية والحكومة الانكليزية و ن نظار الحكومة المصرية لم يكن لهم به من علم الا ان يكون رئيسهم الجديد بطرس باشا غالي وانهم عندما فوجئوا بطلب تقرير ذلك القانون ابوا وفضلوا الاستقالة على ذلك وروت بعض الجرائد الافرنجية ان سعد باشا زغلول ناظر المعارف ومحمد سعيد باشا ناظر الداخلية هما اللذان عارضا وكادا يستقيلان ثم اقنعا فلم يستقيلا وان الوزارة لم ترض اخيرا بتنفيذ ذلك القانون الا بعد تعديل ما واتفاق على عدم التضييق به على المطبوعات ولا المراقبة على الكتب التي تطبع ولا المطابع التي تطبعها و نما تخص المراقبة بالجرائد لتمنعها من الاسراف في الطعن والهجاء الذي لم يسلم منه الامير ولا رجال الحكومة فضلا عن غيرهم ومن تهييج الناس على الاعمال التي قد تحدث الاضطراب وتثير السخط العام على الحكومة . وقد كان وقع نبأ هذا القانون أليما شديدا على رجال الصحافة وغيرهم ويخشون ان يكون مبدأ لشر اعظم منه الامن هم على رأي السلطة التي أعادته

كان للادارة الانكليزية في مصر مزيتان عظيمتان لا نزاع فيهما ويقول الكثيرون انه يكن لها من مزية سواهما الاوهما يسر البلاد المالي وحرية الطباعة وقد ذهبت العسرة المالية مذهبت المزية الاولى وكانت انكلترا قادرة على تفريجها كما فرجت عسرة أمريكا التي هي أعظم منها بكثير من الاضعاف فاذا زالت المزية الثانية بقانون المطبوعات القديم الجديد فأية مزية تبقى لهم في مصر يمنون بها على البلاد ويفاخرون بها الامم . وكلا الامرين حدث بعد مغادرة لورد كرومر لمصر وهو الذي كان صاحب المزيتين على ان الحزب الوطني وجرائده واكثر الجرائد الاخرى ومنها المؤيد كادوا يحصرون شكواهم من الاحتلال في شخصه فصارا لكرومر اليوم يتمثل بقول الشاعر :

رب يوم بكيت منه فلما صرت في غيره بكيت عليه